مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية
ت ٠٦٠-٥-٥٦٠٠-٥٨٩٦٧٩٨

هدية

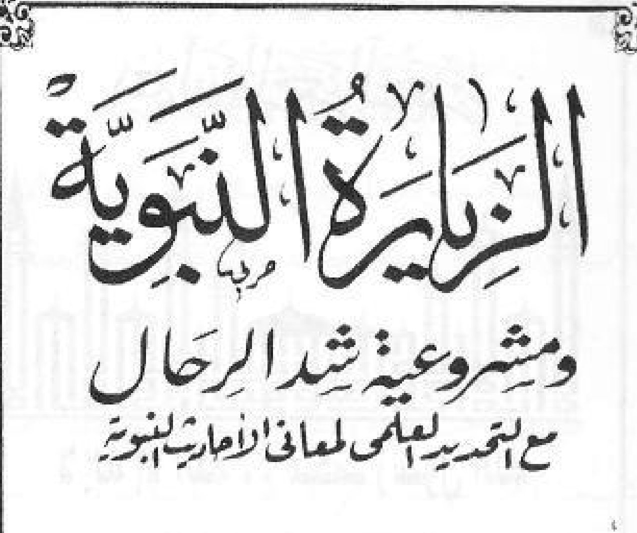
الزيارة النبوية

ومشروعية شد الرحال

مع التحديد العلمي لمعاني الأحاديث النبوية

لفضيلة الأستاذ الإمام السيد
محمد زكي إبراهيم
مؤسس ورائد العشيرة المحمدية
رحمه الله تعالى رحمة واسعة

الطبعة الأولى



لفضيلة الأستاذ الإمام السيد

محمد زكي إبراهيم

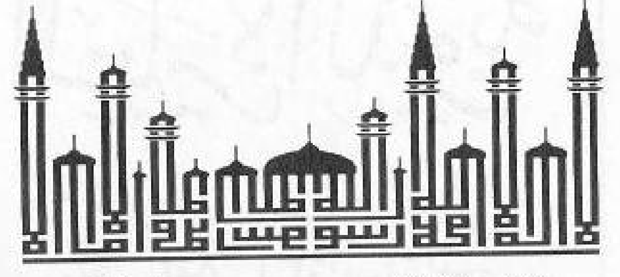
مؤسس ورائد العشيرة المحمدية
رحمه الله تعالى رحمة واسعة

اعتنى بها وعلق عليها

محيي الدين حسين يوسف الإسنوي

تلميذ المؤلف ومن خريجي الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم



لا إله إلا الله .. محمد رسول الله

رقم الإيداع : ١٣١٦٤ / ٢٠٠٠
طبع بدار نوبار للطباعة

هذه الطبعة

جمعت مباحث قيمة حوت الأدلة القاطعة على مشروعية الزيارة النبوية ، مع بيان وتوجيه معاني حديث شد الرحال ، ورسالة الصرخة حول الآثار النبوية وما تتعرض له من هدم وتخريب .

مقدمة بين يدي هذه الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أمّا بعد :

فهذه مباحث هامَّة ومفيدة كتبها بقية السلف الصالح شيخنا الإمام محمد زكي إبراهيم رحمه الله تعالى حول مسألة « زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وحديث شد الرحال والمفاهيم العلمية له » ، وقد سبق وطبعت بعض هذه المباحث في مجلة المسلم ، وألحق بعضها ببعض مؤلفات شيخنا رحمه الله ، فرأيت أن أجمعها في مكان واحد ، كرغبة شيخنا رحمه الله .

وقد عزوت ما فيها من الأحاديث لمصادره ، ومن أراد

توسعاً في تخريج هذه الأحاديث ومعرفة تفصيل الكلام عليها ، فعليه بكتاب « رفع المنارة بتخريج أحاديث التوسل والزيارة » لفضيلة الشيخ المحدث محمود سعيد ممدوح حفظه الله ، فإنّه أوسع ما في بابه ، وقد كان الأصل فيما عزوت من أحاديث الزيارة في هذه الرسالة .

واعلم يا أخانا أن زيارته صلى الله عليه وآله وسلم فرع محبته والتعلق به ، فهي عند أهل الله من آكد الواجبات ، وأعظم القربات ، وكيف لا وهو صلى الله عليه وآله وسلم سيد الكائنات . . ولا اعتبار عندنا أبداً لشنشنة هؤلاء وأولئك ، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشَّرنا بأن أمّته لن تشرك بالله تعالى الشرك الأكبر ، فعن عقبة بن عامر الجهني ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : **« إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تتنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم » قال عقبة : فكانت آخر ما**

رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر .

هذا اللفظ لمسلم [1] .

---

(١) أورد شيخنا رحمه الله هذا الحديث في رسالته « السلفية المعاصرة إلى أين ؟ » (ص ١٨) من رواية عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه وعزاه إلى الصحيحين ، فقامت قيامة أحدهم فكتب معترضاً يزعم أن شيخنا رحمه الله يكذب على الله ورسوله بعزوه هذا الحديث إلى الصحيحين ، وأنَّ صحة الحديث « ما الفقر أخشى عليكم » . . . إلخ ما قاله المعترض .

وأقول : إنَّ صاحبنا هذا قد أدخل نفسه فيما لا يحسن ، وتكلم فيما لا يعلم ، وليته إذ لم يعلم يسئل ، وقد وضع نفسه في موقف لا يحسد عليه ، فإن عزو شيخنا الحديث إلى الصحيحين هو الصواب ، بل إنَّ البخاري أخرج هذا الحديث في ستة مواضع من صحيحه هي (١٢٧٩ ، ٣٤٠١ ، ٣٨١٦ ، ٣٨٥٧ ، ٦٠٦٢ ، ٦٢١٨) وأخرجه مسلم (٢٢٩٦) ، وأحمد (٤/ ١٤٩ ، ٤/ ١٥٣) ، وابن حبان (٧/ ٤٧٢ بترتيب ابن بلبان) ، والبيهقي في سننه الكبرى (٤/ ١٤) ، وأبويعلى في مسنده (٣/ ٢٨٦) ، والطبراني في أكبر معاجمه (١٧/ ٢٧٩) . فماذا بعد الحق إلا الضلال .

وقف شاب يوماً معترضاً على شيخنا رحمه الله في ندوة بإحدى الجمعيات فوصف ذلك شيخنا بقوله : « هذا الشاب أراد أن يقول اعرفوني فقال اشتموني » . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وعن عطاء بن يسار رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد** »[1] ودعوته لا شك مستجابة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع : « **ألا إنَّ الشيطان قد يئس أن يُعْبَدَ في بلدكم هذا أبداً ، ولكن ستكون له طاعة في بعض ما تحتقرون من أعمالكم فيرضى** » ، وفي رواية الطبراني « **إنَّ إبليس قد يئس أن يُعْبَدَ في أرض العرب** »[2] .

ورحم الله أديب الإسلام الأستاذ مصطفى صادق الرافعي حيث يقول في كتابه « وحي القلم » (٢/١٠) :

« وعجيب أن يجهل المسلمون حكمة ذكر النبي العظيم خمس مرات في الأذان كل يوم ، فَيُنادى باسمه

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٧٢) .

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٢/ ٤٤٤) ، والطبراني في الكبير (٢/ ٣٠٤ ، ٨/ ١٥٢) .

الشريف ملء الجو ، حكمة ذكره في كل صلاة من الفريضة والسُّنَّة والنافلة يُهمس باسمه ملء النفس ! .

وهل الحكمة من ذلك إلا الفرض عليهم ألا ينقطعوا عن نبيهم ولا يوماً واحداً من التاريخ ، ولا جزءاً واحداً من اليوم ، فيمتد الزمن مهما امتد والإسلام كأنَّه على أوله ، وكأنَّه في يومه ، لا في دهر بعيد ، والمسلم كأنه مع نبيِّه بين يديه ، تبعثه روح الرسالة ، ويسطع في نفسه إشراق النبوة ، فيكون دائماً في أمره كالمسلم الأول الذي غيَّر وجه الأرض ، ويظهر هذا المسلم الأول بأخلاقه وفضائله وحميته في كل بقعة من الدنيا مكان إنسان هذه البقعة ، لا كما نرى اليوم . . . » .

نفعني الله وإياكم بما في هذه المباحث القيمة من علم نافع ، ورحم الله شيخنا رحمة واسعة ، ورضي الله عنه وأرضاه ، ووفقني وإياكم لزيارته صلى الله عليه وآله

وسلم مرات ومرات ، في سعة من الصحة والرزق ، وأن يرزقنا رؤيته والسير على نهجه والأدب معه صلى الله عليه وآله وسلم في جميع الحالات ، وأن يتقبلنا في كل ذلك بفضله وكرمه ورحمته .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وكتبه

محيي الدين حسين يوسف الإسنوي

تلميذ الإمام الرائد ، ومن خريجي الأزهر

الباب الأول

زيارة القبر النبوي

سنة شريفة مؤكدة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله ، وصلاةً وسلاماً على مصطفاه ، ومن والاه ، في مبدأ الأمر ومنتهاه .

أمّا بعد :

— ١ —

تعوَّد كثير من المسلمين القادرين (جيلاً بعد جيل) الشخوص إلى زيارة قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (بعد العمرة والحج) تبركاً بروحه الشريف ، وتمتعاً بالاعتكاف في مسجده الأنور المنيف ، وقياماً بحقه صلى الله عليه وآله وسلم على كل مُسْلم .

وقد روى أحمد (ورجاله رجال الصحيح) عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **مَنْ صَلَّى في مَسْجِدي أَرْبَعين صَلاة ، لا يفوتُهُ صَلاة ، كُتب له بَراءة من النَّار ، ونجاة من العَذاب ، وبَرِيء من النِّفاق** »[1] ، والمراد طبعًا هنا الصلاة الكاملة الخاشعة الصادقة .

وقد جاء في فضل الصلاة في المسجد النبوي ومضاعفة أجرها كثير مشهور من الآثار الصحاح ، وحسبك منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « **صَلاةٌ في مَسْجدي هذا أفْضَلُ من ألف صَلاةٍ فيما سواه إلا المسْجِد الحَرَام ، وصَلاةٌ في المسْجِد الحَرَامِ أفضَلُ مِنْ صَلاةٍ في مَسْجدي هذا بمائة صَلاةٍ** » رواه أحمد[2] .

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٥٥) ، والطبراني في الأوسط (٥٤٤٠) ، وفي مجمع الزوائد (٤/ ٨) : « رجاله ثقات » ، وصححه المنذري .

(٢) رواه أحمد (٤/ ٥) ، والبيهقي في السنن (٥/ ٢٤٥) .

ثُمَّ إنَّ مجاورة القبر النبوي بكل ذكرياته ، ومصاحبة أنفاس الروح المحمدي بكل خصوصياته ، والانسلاخ من أوضار المادية وأثقالها في نسمات روضته ، والتماس القرب من حضرته ، والخلوص إلى الله تعالى بين كل هذا وذاك ، تلك هبة ربانية لا تنبغي إلا للخاصة من أهل الله ، وأين هؤلاء بجفائهم ، وغلظتهم وكبرهم ، وغلّهم وتجهمهم ، من هذه الرقائق والنفحات ؟! .

- ٢ -

لكنّ هذا الفريق من المسلمين لا يزال يرمي طالب زيارة القبر النبوي بالبدعة مرة ، والشرك مرة ، ومخالفة السُّنَّة مرة ، والمعصية مرة ، وقد لا يتورع بعضهم فيرمون زوار قبره صلى الله عليه وآله وسلم بالوثنية والردة (عياذاً بالله) .

وعندما يرخصون للنّاس في هذه الزيارة كارهين ،

إنّما يكون ترخصيهم مؤكدين على نية زيارة المسجد وحده (أي زيارة الأحجار والرخام والخشب والحصير) ، فلا تكون النية زيارة القبر الشريف معه ، وإلا كان السفر إلى المدينة سفر معصية [1] ، وهذا ما يتغنى به خطباؤهم ووعاظهم ، كلما هبت نسمات العمرة ، وتهدهدت رياح الحجيج .

وفي هذا تعنت وتعسف ليس من الإنصاف العلمي ، ولا الخُلُقي ، ولا الرُّوحي ، وهو ما لا ترضاه العاطفة الدينية ، ولا العقل السويّ ، ولا يسيغه صدق الحب للرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم ، وعندما يُؤتّى هذا العبث باسم السُّنَّة ، فإنه يكون مما لا تتحمله القلوب ، ولا العقول !! .

---

(١) وسفر المعصية لا تقصر فيه الصلاة ، وفاعله معذب يوم القيامة ، فتكون النتيجة أنّ ملايين الملايين من زوار قبره صلى الله عليه وآله وسلم سوف يعذبون مع من كفروا به سواء بسواء !! أيقول عاقل بمثل هذا ؟! .

وها نحن أولاء نذكر طرفاً من أحاديث (١) الترغيب

---

(١) واستدل علماؤنا بالقرآن الكريم كذلك على أن زيارته صلى الله عليه وآله وسلم « سُنَّة مؤكدة » ؛ فمن ذلك استدلالهم بالعموم من قوله تعالى ﴿ ولو أنَّهمْ إذ ظَلَموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرَّسُولُ لوجدُوا اللهَ توَّابًا رَّحيمًا ﴾ الآية ، واستأنسوا بقصة الأعرابي الذي جاء إلى قبره صلى الله عليه وآله وسلم مستشفعاً به قائلاً :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر انت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الطهر والكرم

فرأى العُتبي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في منامه يقول له : يا عُتبي ! إلحق الأعرابي فبشره أنَّ الله قد غفر له .

أورد هذه القصة الإمام النووي في الأذكار ، والحافظ ابن كثير في تفسيره ، وغيرهما .

وممَّا يؤيد أن هذه الآية عامَّة - في حياته صلى الله عليه وآله وسلم وبعد موته - حديث سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « حياتي خيرٌ لكم تُحَدِّثونَ ويُحْدَثُ لكم ، ومماتي خير لكم تعرض عليَّ أعمالكم ، فما رأيت من خير حمدتُ الله عليه ، وما رأيتُ من شرٍ استغفرتُ لكم » رواه البزار في مسنده (١ / ٣٩٧ كشف الأستار) ، وله طرق وشواهد ، =

في زيارة القبر النبوي الشريف ، ونحن نعرف مقدماً أنها ستسبب (غصة) في حلوق بعضهم ، فيلتمسون لها أسباب التضعيف حقداً وغلاً وعصبية مذهبية متوقحة :

(١) روى البيهقي والطيالسي وغيرهما ، عن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « **مَنْ زار قبْري (أو قال : مَنْ زارني) كُنْتُ**

= وقد ألف في تصحيحه العلامة المحدِّث عبد الله بن الصِّديق الغُماري رسالته « نهاية الآمال في شرح وصحة حديث عرض الأعمال » .

واستدلوا أيضاً بقول الله تعالى : ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴾ ، ولا شكّ أنّ زيارته صلى الله عليه وآله وسلم في معنى الهجرة إلى الله ورسوله ، أو هي نوعٌ من الهجرة إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

ولا يفوتنا أنّ الأمّة قد أجمعت على أنّ زيارته صلى الله عليه وآله وسلم من أعظم القربات إلى الله ، سواء كانت بشد الرحال أو بغيره ، حكى الإجماع النووي رحمه الله وغيره ، وما زال على ذلك عمل الأمّة المحمدية قاطبة ، وما زالت مصنفات الأئمة الفقهاء تنص على استحباب زيارته صلى الله عليه وآله وسلم ، والله تعالى أعلم .

له شَفِيعًا أو شَهِيدًا ، وَمَنْ مَاتَ في أَحَدِ الحَرَمَيْنِ بعثَهُ اللهُ مِنَ الآمنين يَوْمَ القيامة » (١) .

(٢) روى الدارقطني في السنن ، ورواه البيهقي في شعب الإيمان ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ زارَ قَبْرِي وَجَبَتْ له شَفَاعَتِي » (٢) .

وروى البزار والبيهقي نحوه .

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي (منحة المعبود ١/ ٢٢٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٤٥) ، وفي شعب الإيمان (٣/ ٤٨٨ ، ٤٨٩) ، وإسناده ضعيف ، ويؤيده ما بعده من أحاديث صحيحة وحسنة ومقاربة .

(٢) أخرجه الدارقطني في سننه (٢/ ٢٧٨) ، والدولابي في الكُنى والأسماء (٢/ ٦٤) ، والبيهقي في شُعب الإيمان (٣/ ٤٩٠) ، والخطيب في تلخيص المتشابه في الرسم (١/ ٥٨١) ، وابن الدبيثي في الذيل على التاريخ (٢/ ١٧٠) ، وابن النجار في تاريخ المدينة (ص ١٤٢) ، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ١٧٠) ، وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٣٥٠) ، وإسناده حسن ، وصححه الحافظ عبد الحق الأشبيلي ، وصححه أو حسنه السبكي في شفاء السقام ، والسيوطي في تخريج أحاديث الشفاء .

(٣) وروى الطبراني في معجمه الكبير (وصححه ابن السكن) : « **مَنْ جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي ، كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة** »[١] .

(٤) وأخرج ابن عساكر وغيره : « **مَنْ زارني في مماتي كان كمَنْ زارني في حياتي ، ومَنْ زارني حتّى ينتهي إلى قبري كنتُ له شهيداً يوم القيامة** »[٢] .

(٥) وأخرج الدارقطني عن حاطب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **مَنْ زارني بعد**

---

(١) رواه الحافظ ابن عساكر في تاريخه (٢/ ٤٠٦) ، والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٩١) ، والأوسط (٥/ ١٦) ، والدارقطني في سننه ، وصححه الحافظ البوصيري ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢) : « فيه مسلمة بن سالم الجهني وهو ضعيف » ، وعليه فالحديث حسن إن شاء الله تعالى .

(٢) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٥٧) ، والسبكي في شفاء السقام (ص ٣٨) بسنده إلى ابن عساكر الذي أخرجه من طريق العقيلي ، وضعفه قريب ينجبر بغيره ، فهو مشبه بالحسن .

مَوْتي فكأنَّما زارني في حياتي ، ومَنْ مات بأحد الحرمين بُعث من الآمنين يوم القيامة »[1] .

نقله السخاوي في المقاصد وحكم بسلامته .

(٦) وأخرج البيهقي في شُعب الإيمان ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **مَنْ زارني بالمدينة محتسباً كنتُ له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة** »[2] .

---

(١) أخرجه الدارقطني في سننه (٢/ ٢٧٨) ، والبيهقي في شُعب الإيمان (٣/ ٤٨٨) ، والمحاملي والساجي كما في الميزان ، وعلقه ابن عبد البر في الاستذكار ، ورواه البخاري في تاريخه . قال الحافظ الذهبي : « أجودها إسناداً - أي أحاديث الزيارة - حديث حاطب » ، وأقره السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٤١٣) ، والسيوطي في الدرر المنتثرة (ص ١٧٣) .

(٢) أخرجه البيهقي في شُعب الإيمان (٣/ ٤٨٨) ، وحمزة بن يوسف السهمي في تاريخ جرجان (ص ٤٣٤) ، ومن طريقه السبكي في شفاء السقام (ص ٣٥) ، وابن أبي الدنيا في كتاب القبور ، وإسحاق بن راهويه في مسنده ، والحديث مُشبه بالحسن .

(٧) وأخرج يحيى بن الحسن بن جعفر في أخبار المدينة ، عن بكر بن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « **مَنْ أَتى المدينة زائراً لي وجَبتْ له شَفَاعَتِي يوم القيامة ، ومَنْ مات في أحد الحَرَمَيْنِ بُعِثَ آمناً** »[١] .

(٨) وأخرج الطبراني في الكبير ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، مرفوعاً ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **مَنْ حَجَّ فزار قَبْري بعد مَوْتي كان كمَنْ زارني في حَيَاتي** »[٢] .

---

(١) أخرجه يحيى بن الحسن بن جعفر في أخبار المدينة ، كما في شفاء السقام (ص ٤٠) ، وسنده ضعيف ينجبر بغيره .

(٢) أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (١٢/ ٤٠٦) ، والدارقطني في سننه (٢/ ٢٧٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٤٦) ، وابن عدي في الكامل (٢/ ٧٩٠) ، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (١/ ٤٤٧) ، والفاكهي في أخبار مكة (١/ ٤٣٧) ، وعزاه الذهبي للبخاري في الضعفاء تعليقاً ، والحديث سنده ضعيف (وينجبر بغيره من أحاديث الباب) .

(٩) أخرج أبو الشيخ الأصبهاني ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « مَنْ صلّى عليَّ عند قَبْري سمعتُه ، ومن صلّى عليَّ نائياً أُبْلِغْتُهُ »[١] .

ووجه الدلالة من هذا الحديث ظاهر في أفضلية الصلاة عليه عند قبره صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا مما يستلزم الزيارة ، ويشهد له حديث : « ما مِنْ أحَدٍ يُسلّم عليَّ إلا ردَّ اللهُ عليَّ روحي حتّى أرُدَّ عليه السلام »[٢] .

---

(١) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في الثواب (كما في اللآلىء ١/ ٢٨٣) ، قال الحافظ السخاوي في القول البديع (ص ١٥٤) : « وسنده جيد كما أفاده شيخنا (يعني الحافظ ابن حجر) » ، وقال الحافظ أحمد بن الصِّدِّيق الغُمَاري في المداوي لعلل المناوي (٦/ ٢٧٧/ ١) : « إسناده نظيف » ، وللحديث طريق آخر .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥٢٧) ، وأبو داود (٢/ ٢٩٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٢٤٥) ، وفي حياة الأنبياء (ص ١١) ، وفي الشعب (٢/ ٢١٧) ، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/ ٣٥٣) .

(١٠) وأخرج الحاكم في المستدرك وصححه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **ليهبطن عيسى ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً ، وليسلُكَنّ فجًّا حاجًّا أو معتمراً أو بنيتهما ، وليأتين قبري حتّى يُسلّم عليَّ ولأردُنّ عليه** »[1] .

وهذا الحديث الصحيح واضح الدلالة في استحباب زيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم والسلام عليه ، ولو كان في زيارته صلى الله عليه وآله وسلم أدنى شبهة لما فعلها سيدنا عيسى عليه السلام ، وهو الذي سينزل مؤتماً بشريعة الإسلام ، حاكماً بها ، مقيماً لها ، لا يخرج عنها .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٩٥) ، وصححه ، ووافقه الذهبي في التلخيص ، وللحديث طرق أخرى منها طريق أبي يعلى في مسنده بإسناد قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢١١) : « رجاله رجال الصحيح » .

- ٤ -

وحتَّى إذا قيل إنَّ في بعض (لا كل ولا أكثر) هذه الأحاديث ليناً فنياً ، فالمقطوع به أنَّ ما فيها من اللين الفني مَجْبُورٌ مُقَوَّمٌ بتعدد طرقها وشواهدها ومتابعاتها ، وبعد أن أخذ بعضها برقاب بعض ، فلا مناص من الإقرار بصحة محصلها ، كيف وقد ذكرنا منها الصحيح الذي لا ريب فيه ، وحسبك منه حديث واحد في مثل هذا المقام ، كما أنَّ منها الحَسَنَ ، والمشبه به ، والضعيف الْمُقَارِب .

وقد استوعب الإمام التقي السبكي أكثر ما ورد في زيارة القبر النبوي في كتابه المعروف « شفاء السقام بزيارة خير الأنام » ردَّ به تهور ابن تيمية ومن تبعه في هذا الجانب ، ممن حكم جزافًا ببطلان أحاديث زيارة القبر النبوي ، حتَّى بلغ به الاندفاع إلى اعتبار السفر بنية هذه الزيارة معصية لا تقصر فيه الصلاة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وكان من أثر ذلك فتنة عمياء انتصر فيها ابن عبد الهادي لابن تيمية ، في كتاب سماه « الصارم المنكي » ، ثم انتصر ابن علان للسبكي بكتاب سماه « المبرد المبكي » ، وتابعه الشيخ السمنودي بكتاب سماه « نصرة السبكي » .

وما كانت الأمة بحاجة إلى ذلك كله ، لو وزنت الأمور بشيء من الإنصاف والوسطية ، وسماحة الإسلام وحسن الظن ، والحب الواجب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيًا وميتًا ، وإنما ذهب بنا كل هذه المذاهب الفتّاكة التعصُّبُ للمذهب والفكرة ، والرأي والشخص ، بل والطائفة والعنصر ، مما حرَّمه الإسلام كل التحريم ، دون النظر إلى الآثار والنتائج ، واعتبار الأصول والآداب والحقائق ، ثُمَّ عبث شياطين السياسة والتبشير والاستعمار واللا دينية ؛ فاستغلوا هذه المواقف أخطر استغلال ، إمَّا مواجهة أو من وراء حجاب ، حتَّى صرنا إلى ما نحن فيه الآن .

ثُمَّ أليس النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً مسلماً ؟!
وأليس قد أجمعت الأمة وتظاهرت السُّنَّة على الندب إلى
زيارة قبور المسلمين من التقاة والعصاة جميعًا ؟! فكيف
تكون زيارة القبور كلها من القربات بالنسبة لغير النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم تكون بالنسبة له صلى الله
عليه وآله وسلم معصية تستوجب كل هذه الشناعة (وهو
أول المسلمين) ؟! .

شيء في غاية العجب !! من الأشياء التي مزقت الأمة
بلا أي موجب ، واستغلها خصوم الإسلام بأساليبهم
الخفية ، وألبسوها ثوب القداسة ، ولا يزالون يساندون
القائلين بها بكل ألوان المساندات الخفية والمكشوفة ، حتَّى
يبقى لهؤلاء الجاحدين الجامدين سلطان الهيمنة عليها باسم
دينها المظلوم ، وباسم السُّنَّة والتوحيد في غفلة قاتلة !!
مدعمة بظلام الذهب الأسود ونفثات القلوب المعتمة .

اللَّهُمَّ إنَّا نحب نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بما هو أهله فلا تحرمنا بركة زيارة قبره الشريف مرات ومرات ، لنقتبس النفحات والبركات ، والأسرار والأنوار والفيوضات . .

اللَّهُمَّ وشَفِّعْه فينا يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم .

بكل ذلك نؤكد

سقوط القول بأن زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم زيارة معصية ، لا يجوز فيها قصر الصلاة ، كما يقول بعض المتمسلفة .

ونستغفر الله العظيم .

الباب الثاني

أيها الحجاج والمعتمرون (*)

زوروا القبر الشريف وإن كره المبطلون

١) هل زيارة القبر النبوي حرام ؟! :

في مناسبة الموسم الذي اعتاده النّاس لأداء العمرة الشريفة طوال شهور « رجب ، وشعبان ، ورمضان » ، وفي جمال أنفاس الحب النبوي التي يتضوَّعَ عَرْفُها الشذي في آفاق القلوب الطيبة ، وفي دفعات الشوق التي تترجم خفقات الإحساس المحمدي في قلب المؤمن المحب لله ولرسوله ، وفي أحلام الهيام الروحي الدافعة بطهر الأهداف وأنقى المقاصد ، لا تزال في الأمة طائفة يفتك بها

(*) كتب شيخنا رحمه الله هذا المبحث في (شعبان سنة ١٣٩٤ هـ الموافق أغسطس ١٩٧٤ م) ، وها هو بين يديك أخي القارىء كما هو ، فما كان فيه من مكرر مع المبحث السابق أو الآتي فهو هنا على أسلوب خاص ، وفي تكراره إفادة إن شاء الله .

« الغل » على هيام الجماهير المسلمة بحب حبيبها الأكرم ، فإذا « نعيبٌ » من هنا ، و « نعيقٌ » من هناك ، يشبوهما « نباحٌ ونهيقٌ » ، ويداخلهما « نشيجٌ ونقيقٌ » يراد به أن يكون حجاباً بين المسلم وحب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، بل يراد به أن يكون جداراً من البغض والكراهية بين المعتمرين والحجاج وزيارة قبر سيد المرسلين !! .

تبذل هذه الطائفة المغلولة المدخولة ، بالغ الجهد في إشاعة « أن زيارة القبر النبوي ممنوعة بل هي حرام بل شرك صريح !! » ، وأنَّ على المعتمر أو الحاج إذا أراد أن يشدَّ الرحال من مكة إلى المدينة ، فليكن لزيارة « أحجار المسجد النبوي !! » ، أمّا « القبر الشريف » فزيارته كبيرة موبقة ، وشرك لا يقبل الله معه عملاً ولا يغفر معه خطيئة .

يكتبون هذا بأقلامهم ، ويرددونه بأفواههم في عصبية وتشنج وحقد أزرق فاتك يحسبونه ديناً ، ومرارة يظنونها توحيداً ، وتفريق للأمة يزعمونه وحدة ، وفتنة مجنونة

يدَّعُون أنّها دعوة ، وجهل مركب ببسائط الآداب الشرعية حتّى مع الله ورسوله يقولون إنّه طاعة ، وتهوين موبق من رتبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحقه الأكبر الخالد يتصورون أنّه عين الاتّباع !! .

فما تدري إن كان هذا الإفك منهم كلاماً يخرج من الأفواه أو فضلات تخرج من مكان آخر !! .

إنَّ عمالة هذه الطائفة لمذهب التخصص في خصومة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرٌ لم يعد فيه شكٌّ ولا عليه خلاف ، ولا هو في حاجة إلى دليل ، فقد تظاهرت الأدلة والبراهين العملية ، ولا تزال تتوالى على تأكيد هذه العمالة الرخيصة والتبعية الخسيسة ، وليس أذل من « بردعة » أو « طرطور » أو « قبقاب » في صورة إنسان .

وحين يكون ادعاء الدين هو السبيل إلى الغنى وزهرة الحياة الدنيا والتظاهر والتكاثر فقد انسلخ فاعل ذلك من كل ما يضاف به إلى جماعة البشر ! .

ثُمَّ حين يكون هذا الدين هو مجرد الشذوذ عن الجماعة ، والحقد عليها ، والغل للذين آمنوا ، ورفض ما صحَّ عندهم ، والتجرد للعمل على تهوينهم وتكفيرهم والانفراد بوضع خاص بينهم وتمزيق جماعتهم والسخط البالغ على حبِّهم لنبيِّهم .

نعم : حين يكون ذلك كذلك ، فقد تجسدت الفتنة في صورة رجل ، وتحرك إبليس في أثواب كائن يزعم أنّه متدين !! وتواكبت طلائع المسيخ الدجال في جماعة ترى أنّها « شعب الله المختار » من دون كافة المسلمين !! .

كنتُ في غنى عن كتابة ذلك كله لولا هذا التوقح المبثوث باسم الدين الآن ، خطابةً ودرساً وكتابةً لأمرٍ ما !! ولولا هذه « الهستريا » التي يقول هؤلاء الشخوصُ أنّها الإسلام والتوحيد والسُّنَّة بفجاجة وفظاظة مطبقة !! .

ويعلم الله أنّني لأكتب هذا وأنا غير راضٍ عن نفسي ، ولقد كبحت جماح القلم بكلِّ طاقتي ، وإنّما هو حكم

المضطر إلى ذلك في مقابلة مَن اتحدوا بالفتنة لشيء من الرد والبيان ، وأستغفر الله وأتوب إليه ، متوسلاً بالحبيب صلى الله عليه وآله وسلَّم .

٢) من أحاديث الترغيب في زيارة القبر الشريف :

١ - روى الدارقطني في سننه (وحسنه الإمام السبكي) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « **مَنْ زار قَبْرِي وَجَبَتْ له شَفَاعَتِي** » .

٢ - وروى الطبراني (وصححه ابن السكن) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **مَنْ جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي ، كان حقًا عليَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة** » .

٣ - وروى الدارقطني وغيره (وقواه الذهبي وهو معتمد عند المتمسلفة) عن حاطب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **مَنْ زارني بعد**

موتي فكأنما زارني في حياتي ، ومن مات بأحد الحرمين بُعث من الآمنين يوم القيامة »[1] .

ولو لم يكن في هذا الباب إلا هذه الأحاديث القوية لكفى وشفى ، ثمَّ إنَّها روايات كلها مقبولة عند أهل هذا الفن ، وهي تتعاضد ببعضها وتزداد قوة حتَّى لا يبقى شكٌ في صحة مضمونها ، ولا في محصل معناها ، ومع هذا فنحب أن نورد قدراً آخر من أحاديث الباب تزيدها قوة وتؤكدها قبولاً ، وتجبر ما عسى أن يلتمسه بعضهم فيها من أسباب اللين ؛ فـ « الغل » الذي تتوارثه هذه الطائفة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصالحي الأمة باسم السُّنَّة والتوحيد ، داء وبيء ، عضال قتّال ، والعياذ بالله .

على أنَّ الباب كله من الفضائل ، التي يجوز الأخذ فيها بالضعيف بإجماع الأمة فكيف بالقوي الذي أسلفنا بعضه ، والذي كان يكفي منه حديث واحد للعمل به .

---

(١) الأحاديث (١ - ٣) سبق تخريجها .

فاسمع يرعاك الله :

١ - روى ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ زارني بالمدينة كُنتُ له شَهيداً وشَفيعاً يوم القيامة » .

ورواه البيهقي بلفظ : « مَنْ زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة »[1] .

٢ - وروى البزار عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ زار قَبْري حَلَّتْ له شفاعتي »[2] .

٣ - وروى العقيلي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، والحافظ سعيد بن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه ،

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) الحديث بهذا اللفظ رواه البزار في مسنده (كشف الأستار ٢/ ٥٧) ، وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٢) : « رواه البزار ، وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف » ، وقد قوّاه بعضهم .

قال صلى الله عليه وآله وسلم : « **مَنْ زارني في مماتي كان كَمَنْ زارني في حياتي ، ومَنْ زارني حتَّى ينتهي إلى قَبْري كُنتُ له شَهِيداً يوم القيامة** » ، وهو بنحو هذا اللفظ عند الدارقطني من رواية حاطب ، وهو من أجود الأسانيد في هذا الباب باتفاق أهل العلم (وقد تقدم) .

٤ - وروى الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال صلى الله عليه وآله وسلم : «**مَنْ جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي ، كان حقاً عليَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة** » ، وفي رواية له « **لم تنزعه حاجة إلا زيارتي ، كان حقًّا عليَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة** » [١] ، وهو معتضد بما قدمناه من رواية الطبراني عن ابن عمر التي صححها ابن السكن كما أسلفنا ، وهو بهذا المعنى عند ابن مردويه عن أبي هريرة أيضاً .

---

(١) الحديثان (٣ ، ٤) سبق تخريجهما .

وفي هذا الباب نحو عشرين حديثاً ، لا تدع شكاً على الإطلاق في صحة حاصلها ، وصدق مؤداها ، وهو الندب على الأقل « إن لم يكن الإلزام » إلى زيارة القبر الشريف الأطهر ، وكلها أحاديث يعضد بعضها بعضاً ، ويشدُّ بعضها بعضاً .

قال الشيخ علي القاري (في الدرة المضيئة) : « وقد فرَّط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرَّم السفر لزيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم . . . إلخ » [١] .

قلنا : وممّا يثير العجب أن تقلده (وتصر على تقليده) في عصرنا طائفة تدعي أنّها تكافح التقليد !! .

قال الذهبي في كلامه عن حديثه صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ زارَ قَبْري وَجَبَتْ لهُ شَفَاعَتِي » ما مجمله :

---

(١) سيأتي إن شاء الله مزيد بيان حول ابن تيمية وأقواله في تحريم السفر لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم ، وبيان إصرار مقلدته وتعديهم وتفوقهم عليه فيما ذهب إليه .

إنَّ طرقه يقوي بعضها بعضاً ، لأنّه ليس في رواتها متهم بالكذب . قال : « ومن أجودها إسناداً حديث حاطب » وقد أسلفنا ذكر نصّه .

وإذا كانت المسائل في هذا المعنى تثبت بحديث واحد ، فكيف بكل هذه الأحاديث على مختلف مراتبها التي قدمناها ، وإنِّي لأعجب لهؤلاء الذين يدّعُون حبّه صلى الله عليه وآله وسلم ثُمَّ إذا ما أتيحت خصلتان أو رتبتان في ذكره ، هرعوا فاختاروا بكل عنف أدناهما ، والتمسوا لها البراهين ، وزعموا أنّها (وليس غيرها) الصواب والسنّة والدين الخالص !! .

وقد نقل الشيخ القاري في « درته » أنَّ بعض الظاهرية أوجبوا زيارته صلى الله عليه وآله وسلم وجوباً حتّى يخرج الإنسان من شبهة جفائه صلى الله عليه وآله وسلم ، كما جاء في حديث ابن عدي وغيره ، وجفاؤه صلى الله عليه وآله وسلم حرام .

٣) الزيارة النبوية وشد الرحال :

أمَّا حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، عنه صلى الله عليه وآله وسلم : « **لا تُشَدّ الرِّحَالُ إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا** » فهو حديث صحيح لا خلاف عليه ، وإنَّما الخلاف في فهمه وطريقة تطبيقه .

فالكلام هنا عن المساجد لا عن القبور ، فإقحام موضوع القبور فيها افتراء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتضليل للأمّة ؛ لأنّه صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يبين فضل هذه المساجد على غيرها ، وأنَّ ما عداها قد يتساوى في الفضل .

وهو المصرح به نصًّا فيما أخرجه الإمام أحمد من طريق شهر بن حوشب (وشهر هذا حسن الحديث كما قرره الحافظ ابن حجر) قال : سمعتُ أبا سعيد (أي الخُدْري) رضي الله عنه ، وقد ذكرت عنده الصلاة في

الطور فقال : قال صلى الله عليه وآله وسلم : « **لا ينْبغِي لِلْمطِيْ أنْ تُشدّ رحالُهُ إلى مسْجِدٍ يبْتغي فيه الصّلاة ، غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا** » .

وفي الحديث الأول لم يصرح بـ « المستثنى منه » ، ولا يمكن أبداً في اللغة أن يكون المستثنى منه « المحذوف لدلالة ما يأتي عليه » إلا لفظ « مسجد » فيكون المعنى : لا تشد الرحال إلى مسجد إلا إلى هذه المساجد ، فأي علاقة إذن بين هذا وبين القبر النبوي !! اللهم إلا عقدة « القبور » التي تأزمت بها هذه النّفوس فهيمنت على كل مفهوم لها . . تصريحاً أو تلميحاً . . بالنص أو بالمعنى . . حتّى استهلكت هذه العقدة عندهم كل منطوق ومضمون ومعقول ومنقول .

وقد أيّد الحديث الثاني هذا المعنى بالتحديد العلمي النقلي والعقلي معاً ، فلم يعد لإقحام ذكر القبر الشريف محل على الإطلاق في هذا الحديث وما في معناه .

وليس في السنّة الشريفة حديث واحد يفيد بمنطوقه أو مفهومه تحريم (أو كراهة) السفر لزيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم ، أو لزيارة أي قبر آخر ، فإنّ زيارة القبور سنّة ثابتة صحيحة ، محثوث عليها ومرغوب فيها ، فكيف بزيارة قبر أشرف الخلق على الله ، وأعز الخلق على أهل القبلة ، فهل لا يساوي قبره الأطهر قبر فرد من عامة المسلمين ؟! .

إنّ الأصل في زيارة المقابر الجواز فمن أين يجيء المنع ؟! والمنع لقبره الشريف بصفة خاصة . . إنّ هذا تحامل وتحكم في دين الله ليس عليه دليل على الإطلاق ، إلا مجرد التقليد وحب المخالفة والتعالم الممقوت والعمالة الرابحة .

ثمّ أيّ فضل كان يكون لمسجد المدينة لولا ارتباطه الشريف به ، فكم بالمدينة من مساجد ، ولكن مسجده صلى الله عليه وآله وسلم كانت له تلك المنزلة لعلاقته الشريفة به ليس إلا .

وإذا كانت زيارة القبور قد شرعت للعبرة والقدوة ، فأي قبر يمكن أن يتساوى مع قبره صلى الله عليه وآله وسلم في التماس العبرة والقدوة ؟! .

هي عقدة . . أزمة . . مرض . . غل . . حقد . . عمالة مأجورة مفضوحة ، ظلمات بعضها فوق بعض . . باسم « السُّنَّة » المتهمة و « التوحيد » المفترى عليه .

وبعد : فقد كنت أحبُّ أن أختم هذا البحث بكلمة عن حياة سيدنا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في قبره ، وعلاقته الروحية بأمّته ، ورؤياه في المنام ، ورؤيته في اليقظة وحكم السماع منه ، والتلقي عنه صلى الله عليه وآله وسلم في عالم البرزخ ، لولا أن المجال الآن لا يأذن بهذا ؛ فإلى وقت آخر إن شاء الله [1] .

---

(١) راجع كتاب « أصول الوصول » وكتاب « حياة الأرواح بعد الموت » لشيخنا الإمام الرائد رحمه الله ففيهما بحوث تفصيلية عن حياة الأنبياء ، والحياة البرزخية ، وراجع ما كتبه الإمامان البيهقي والسيوطي .

ثُمَّ ليذهب المعتمرون ليزوروا قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وليتمتعوا بأسرار الزيارة ونفحاتها وأنوارها ، وليدَعُوا أهل الظلمة والحجاب على غيهم ، في غمرة غرورهم ، حتّى يأتي الله بأمره ، والله الموفق المستعان .

اللهُمَّ لا تحرمني زيارة قَبْره ، ولا شَدَّ الرحال إلى مسجده ، اللهُمَّ هبني نعمة رؤية روحه في اليقظة كما تفضلت اللهُمَّ فأريتنيه في المنام ؛ فقد روى الشيخان صحيحاً مرفوعاً قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « **من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ، ولا يتمثل الشيطان بي** »[1] ، وهكذا . . من رآه في المنام فقد رآه حقًّا فإن الشيطان لا يتمثل به أبداً ، اللهُمَّ استجب . . آمين .

---

(١) رواه البخاري (٦٥٩٢) واللفظ له ، ومسلم (٢٢٦٦) ، والذين ينكرون رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقظة ، وراحوا يؤولون هذا الحديث وأمثاله من الأحاديث أخطأوا وما أصابوا ، فإنَّ أدلة =

. . . .

= رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم صريحة وقوية ، فمنها حديث البخاري هذا الذي أورده شيخنا ، وهو صريح « مَنْ رآني في المنام فسيراني في اليقظة » أي بعيني رأسه ، وقيل بعيني قلبه .

ومنها : أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم صَلَّى بالأنبياء ليلة الإسراء واجتمع بهم في السماوات ، واستقبلوه وسلم عليهم وردوا عليه السلام ، وخاطبهم وخاطبوه ، والأحاديث في ذلك صحيحة صريحة ، وكان ذلك يقظة .

ومنها : حديث الطبراني في الكبير (٨/ ٣٠٨) - بسند حسن - عن ضمرة بن ثعلبة أنَّه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ادعُ الله لي بالشهادة ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهُمَّ إنِّي أُحَرِّمُ دم ابن ثعلبة على المشركين والكفار » ، قال : فكنتُ أحمل في عرض القوم فيتراءى لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلفهم ، فقالوا : يا ابن ثعلبة ! إنَّك لتُغرر وتحمل على القوم ! ! فقال : إنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتراءى لي خلفهم فأحمل عليهم حتّى أقف عنده ، ثُمَّ يتراءى لي أصحابي فأحمل حتّى أكون مع أصحابي ، قال : فعُمِّرَ زماناً طويلاً من دهره . وقد قال بجواز رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم يقظةً جمهورُ العلماء ، وألف السيوطي في ذلك رسالته « تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك » .

الباب الثالث

أحاديث شد الرحال

والتحديد العلمي لمعانيها وأحكامها

* مشروعية شد الرحال إلى كل المساجد وكل القبور .

* الأفضل لا ينفي مشروعية الفاضل ولا المفضول .

(١) تمهيد :

يتخذ إخواننا الذين ينتسبون إلى « التسلف » أو إلى « السَّلفية » من أحاديث « شَدِّ الرِّحَال » وسيلة للتشهير بمن يلتمسون البركة بزيارة مشاهد بعض أولياء الله وأهل البيت الكرام ، أو قصد الصلاة في بعض المساجد الشهيرة .

وقد يتغالى بعضهم فلا يكتفي بتسمية الأغلبية الغالبة من مسلمي المشارق والمغارب بـ « القبوريين » ؛ بل إنه ليرميهم كما هي العادة بالشرك والردة والوثنية والزندقة ،

وإنه ليستحل دماءهم وأموالهم وأعراضهم باسم السَّلفية البريئة ، والتوحيد المظلوم ، ثم باسم إحياء السُّنَّة ، وكفاح البدعة .

وهكذا يَرَى هؤلاء الإخوان على اختلاف طوائفهم أن جمهور المسلمين بعامّتهم ، بين مشرك مرتد ، أو كافر مبتدع ، أو وثني نجس ، فلا إسلام ، ولا إيمان إلا ما هم عليه ، وقد يكون هذا عن اقتناع أحمق ، أو فهم جاهل ، أو عن تقليد طائفي متعصب ، أو حاجة في نفس يعقوب ، ومن الحاجات ما تبرأ منه الإنسانية والشرف ، وما لا يستقيم مع العلم والدين .

(٢) ابن تيمية ومقلدوه ودفع حجتهم :

لقد قلدوا إمامهم الأكبر « الشيخ أحمد بن تيمية » الذي منع شَدَّ الرحال - حتَّى لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - وشَذَّ بهذا عن كل علماء أهل القبلة ،

وقال : إنّما تُشَدُّ الرحال للصلاة في مسجده صلى الله عليه وآله وسلم فقط ، فإذا اقترن شدّ الرحال بنية زيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم كان ذلك سفراً مُحَرَّماً لا تقصر فيه الصلاة [1] .

---

(١) ولبيان حقيقة أقوال ابن تيمية في هذه المسألة أقول : إن لابن تيمية في مسألة زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رأي شاذ وكلام كثير فيه تضارب وتناقض وتعميم وتهويل .

ومن قرأ له « الجواب الباهر في زوار المقابر » ، أو « الرد على الأخنائي » وقد طبع مؤخراً في (٧٤٤) صفحة من القطع الكبير ، أو قرأ له فتاواه ، أو ما نقله بعض تلاميذه عنه كابن عبد الهادي في « الصارم المنكي » ، مَنْ قرأ ذلك كله يعرف مدى الالتباس والتشتت الموجود في كلام الرجل . وقد قام عليه علماء عصره في هذه المسألة وغيرها ، وردوا عليه ، وقد صرح ابن تيمية بأن الصلاة لا تقصر في السفر لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (٣/ ٧٩) : « والحاصل أنهم ألزموا ابن تيمية بتحريم شد الرَّحْل إلى زيارة قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » . ثم قال ابن حجر رحمه الله (٣/ ٨٠) : « وهي أبشع المسائل المنقولة عن ابن تيمية » ، واعجب بعد =

ولا يزال رجال هذه الطائفة في كل البلاد لا يجدون مادة للحديث وخصوصاً في موسم « العمرة والحج » إلا تحريم شد الرحال لزيارة القبر الشريف ، تقليداً وجهلاً ، أو حقداً وغلاً .

وحجتهم هي حديث « **لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثلاثة مَسَاجِدَ : المسجِدِ الحَرَامِ ، ومسجدي هذا ، والمَسْجِدِ الأقصى** »(١) .

= ذلك لقول المعلق (ابن باز) حيث قال تعليقاً على قول الحافظ هذا : « هذا اللازم لا بأس به ، وقد التزمه الشيخ ، وليس في ذلك بشاعة بحمد الله عند من عرف السُّنَّة ومواردها ومصادرها . . . » إلخ ما قال من عجب !! وكأنَّه يلمز بذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني ، ولا قوة إلا بالله .

(١) أخرجه البخاري (١١٨٩) ، ومسلم (١٣٩٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وأخرجه البخاري (١١٩٧ ، ١٨٦٤ ، ١٩٩٥) عن أبي سعيد رضي الله عنه باللفظ المذكور ، وهو حديث متواتر ، روي عن عدد كبير من الصحابة ، منهم : أبو هريرة ، وأبو سعيد الخُدْري ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وعلي بن أبي طالب وغيرهم رضي الله عنهم جميعاً .

ثُمَّ حديث : « **لا تُعْمَلُ المَطِيُّ إلا إلى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ : إلى المَسْجِدِ الحَرَامِ ، وإلى مسجدي هذا ، وإلى مَسْجِدِ إيلِيَاء** » أو قال « **بَيْتِ المَقْدِسِ** » [1] ونحو ذلك .

ويقولون : إن المستثنى منه في الحديث ليس هو المساجد فقط ، بل هو كل مكان يقصد للبركة والقربة ، سواء أكان مسجداً أم قبراً .

على أنَّ القواعد كلها تدلُّ على أن المستثنى لا يكون إلا من جنس المستثنى منه (بلا خلاف) ، وإلاّ كان شد الرحال لطلب العلم ، والصلح بين النّاس ، وللغزو في سبيل الله ، ولنشر دعوة الإسلام ، وعيادة المريض ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وزيارة الموتى ، وزيارة الأهل والإخوان ، ونحو ذلك ممّا هو مطلوب

---

(١) رواه مالك في الموطأ (١/ ١٠٨) ، وأحمد في مسنده (٦/ ٧) ، والنسائي في المجتبى (١٤٢٩) ، والكبرى (١/ ٥٤٠) ، والحميدي في مسنده (٢/ ٤٢١) .

شرعاً : كان كله ممنوعاً أن تشد إليه الرحال لأنَّه مقصود به البركة والقربة !! .

فتعيَّن أن يكون مفهوم الحكم محصوراً في عدم شَدِّ الرحال إلى المساجد وحدها ، لا إلى كل ما يراد به التبرك والتقرب إلى الله ، هذا هو منطق العلم والعقل عند التسليم بظاهر مفهوم الحديث .

وبهذا يتضح أنَّ القول ببدعية شَدِّ الرحال إلى زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو قبور الصالحين هو عين البدعة ، التي تجمع إلى قبح البدعة لوناً من الوقاحة باسم السُّنَّة ، ودعوى الانفراد بالصواب ، وفرض الوصاية على المسلمين .

ثُمَّ قالوا : إنَّه لم ينقل عن أحد من الصحابة أنه شَدَّ الرحال لزيارة قبر .

قلنا : إنَّ عدم النقل لا يستلزم عدم حدوث الشيء ،

وبالتالي لا يستلزم حرمته [1] .

وحسبنا دليلاً أنَّ الندب إلى زيارة القبور ثابت ، بحسم علمي لا شك فيه ، فهو مشروع مع شد الرحال وبدونها ، لعدم القيد أو الحصر ، أو الاشتراط في أحاديثه كلها .

ولما كان مما لا شك فيه أنَّ قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو أفضل القبور قولاً واحداً ، كانت زيارته أفضل الزيارات قولاً واحداً ، وكان شَدُّ الرحال إلى هذه الزيارة مشروعاً ومندوباً إليه ، كما رأيت عقلاً ونقلاً .

وبالتالي ينطبق هذا الحكم على بقية قبور الصالحين ،

---

(١) هذا على تقدير صحة الدعوى بعدم النقل ، وإلا فإنَّه قد نقل شد الرحال لزيارته عن طائفة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، منهم بلال مؤذن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وعمر بن الخطاب ودعا كعب الأحبار لزيارته صلى الله عليه وآله وسلم ، وعبد الله بن عمر ، وغيرهم ، وكان عمر بن العزيز وطائفة من السلف يرسلون السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالبريد ومع الحجيج .

فتندب زيارتها ، بشَدِّ الرحال أو بغيرها حيثما تكون ، إذ الممنوع في ظاهر مفهوم الحديث هو شَدُّ الرحال للمساجد لا للأضرحة والقبور والمشاهد ، ولا شَكَّ أنَّ المساجد شيء غير المشاهد والقبور والأضرحة .

(٣) النهي عن شد الرحال ليس للتحريم :

كل ذلك لو سلمنا أنَّ النَّهي عن شَدِّ الرِّحَال إنما كان للتحريم ، ولكن الحديث في الميزان العلمي لا يرجح إلا لمجرد بيان الأفضلية ، أي أن الأفضل والأولى هو ألا تشد الرحال إلا إلى هذه المواضع الثلاثة .

ومعنى هذا أن شد الرحال إلى غير هذه الأماكن جائز ، وليس ببدعة ولا معصية ، وهو رأي جمهور السلف والخلف .

وإليك الدليل باختصار شديد :

أولاً : ورد هذا الحديث من عدة طرق أخرى صحيحة ،

خاليًا من صيغة الحصر والاستثناء ، فقد روى أحمد من طريق شهر بن حوشب [1] قال : سمعت أبا سعيد الخُدْري وذُكِرَتْ عنده الصلاة في الطور فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **لا يَنْبَغِي للمَطِيِّ أن تُشَدَّ رِحَالُهُ إلى مَسْجِدٍ يُبْتَغَى فيه الصَّلاةُ ، غَيْرَ المسجدِ الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا** » [2] .

ويؤخذ من هذا الحديث أنهم كانوا يشدون الرحال

---

(١) قال شيخنا رحمه الله تعالى : « قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢/ ٤٣) : « وشهر - أي ابن حوشب - حسن الحديث ، وإن كان فيه بعض الضعف » ، وقد حَسَّن له الحافظ أكثر من حديث ، بعضها في المطالب العالية ، بل إن ناصر الدين الألباني حَسَّن أحاديثه مع الشواهد كما ذكره في صحيحته » . اهـ

قلتُ : وبقية رجال الحديث ثقات رجال الشيخين غير عبد الحميد ابن بهرام فمن رجال الترمذي وابن ماجه وهو ثقة . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣) : « هو في الصحيح بنحوه ، وإنَّما أخرجته لغرابة لفظه ، ورواه أحمد ، وشهر فيه كلام ، وحديثه حَسَن » .

(٢) رواه أحمد (٣/ ٦٤) ، وأبو يعلى (١٣٢٦) .

للصَّلاة في (الطور) ، وأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **لا ينبغي** ... » ، وهذا اللفظ لا يفيد التحريم ، ولكنه يفيد التفضيل فقط ، ولا يجوز صرف هذا اللفظ إلى حكم الوجوب إلا بقرينة وشاهد ، ولا يوجد في هذا النص قرينة ولا شاهد ، ولا في غيره .

ثانياً : روى الطبراني وأحمد من حديث جابر رضي الله عنه - بإسناد حسن - ورواه البزار ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : « **خَيْرُ مَا رُكِبَتْ إليه الرَّوَاحِلُ مَسْجِدُ إبراهيم عليه السلام ، وَمَسْجِدي** »[1] .

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣٣٦) ، والطبراني في الأوسط (٧٤٤) بهذا اللفظ ، وهو عند البزار (رقم ١٠٧٥) بلفظ : « **خَيْرُ مَا رُكِبَتْ إليه الرَّوَاحِلُ مسجدُ إبراهيم عليه السلام ، ومَسْجِدُ مُحَمَّد صلى الله عليهما** » قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٤) : « رواه البزار ، وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد ، وقد وثقه غير واحد ، وضعفه جماعة ، وبقية رجاله رجال الصحيح » ، ورواه أحمد (٣/ ٣٥٠) وغيره بلفظ : « **إنَّ خَيْرَ ما رُكِبَتْ إليه الرَّوَاحِلُ مَسْجِدي هذا والبيت العتيق** » .

وهذا الحديث بهذا اللفظ يفتح باب شد الرواحل إلى مختلف المساجد ، ولكنه يفضل مسجد إبراهيم والمسجد النبوي ، والتحقيق أنَّ مسجد إبراهيم ليس هو المسجد الأقصى ، ولكنه مسجد في « الخليل » دفن به إبراهيم وبعض نسائه وذريته ، ولا يزال الإسرائيليون يعملون لتحويله إلى معبد لهم .

ثالثاً : روى الإمام أحمد عن ابن عيينة ، وعبد الرزاق من طريق سعيد بن أبي سعيد ، وروى من طريق ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **تُشَدُّ الرِّحَالُ إلى ثلاثة مَسَاجِدَ : المَسْجِدِ الحَرَامِ ، ومَسْجِدِي ، والمَسْجِدِ الأَقْصَى** »[1] ، وهذه الصيغة أيضاً لا تفيد الحصر ، ولا

---

(١) رواه أحمد (٦٩٥١) ، ورواه البزار (٢/ ٥٦ كشف الأستار) . قال شيخنا رحمه الله : « في سند الحديث موسى بن أبي عبيدة الزبيدي وهو ضعيف عند بعضهم ، ولكن ضعفه هنا مجبور بما سبق من شواهد ومتابعات » ، وانظر مجمع الزوائد (٤/ ٩٠) .

التخصيص ، ولا المنع ، ولكنها تفيد الأفضلية ، والأفضلية في جانب لا تمنع مشروعية الفاضل أو المفضول من جانب آخر ، وعدم المنع معناه أن فيه خيراً غير أن هذا الخير هنا أقل مما هناك .

رابعاً : يمكن الاستئناس أيضًا بما رواه البزار من حديث عائشة رضي الله عنها ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : « **أحَقُّ المساجد أن يُزَارَ وتُشَدَّ إليه الرَّوَاحِلُ : المسجد الحرام ، ومسجدي** »[1] .

وفيه الدليل - بالإضافة إلى ما سبق - على أنَّ شَدَّ الرَّوَاحل إلى غير هذه الأمكنة المذكورة لا يخلو من الطاعة والبر ، وأنَّه ليس بحرام ولا بدعة .

خامساً : روى عبد الرزَّاق في المصنف (٥/ ١٣٣) عن عُمَر رضي الله عنه أنه قال : « **لو كان مسْجِدُ قُبَاء في أُفُقٍ**

---

(١) رواه عبد الرزاق (٥/ ١٣٢ ، ١٣٣) ، وأحمد (٢/ ٢٣٨) ، ومسلم (١٣٩٧) .

من الآفاق لضربنا إليه أكباد المطيِّ »[١] .

ومعنى هذا أنَّ سيِّدَنا عمر - وهو من هو علمًا واحتياطًا - لا يرى أن شَدَّ الرِّحَال إلى مسجد قباء - وليس هو من المساجد الثلاثة - ممنوعًا ، بل إنَّ أسلوب العبارة يدلُّ على استحبابه هذا العمل واستحسانه ، بل يدلُّ على ما هو أكثر من الاستحسان والاستحباب كما هو نص عبارته[٢] .

---

(١) وكذلك رواه عمر بن شبه في أخبار المدينة (١/ ٤٩) ، وعن سعد بن أبي وقاص أنَّه قال : « لو يعلمون ما في قُبَاء لضربوا إليه أكباد الإبل » صحَّح إسناده الحافظ في الفتح (٣/ ٦٩) .

(٢) وهو كذلك عمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد روى البخاري (١/ ٣٩٩) ، ومسلم (٢/ ١٠١٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « كان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يأتي مَسْجِدَ قُبَاء كل سبت راكباً وماشياً فيصلي فيه ركعتين » اللفظ لمسلم ، وفي رواية البخاري : « كان عبد الله رضي الله عنه - أي ابن عمر - يفعله » فليس هو خاصاً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كما يزعم بعضهم ، ودلَّ على أنَّ حديث شدِّ الرحال إلى المساجد الثلاثة إنما هو لبيان أفضليتها كما قرره الإمام النووي ، وصرح به السيد مرتضى الزبيدي .

فيكون المعنى بالتالي أنَّ عمر رضي الله عنه كان يفضل هذه المساجد ، ويرى باجتهاده أن قصر الرحلة إليها ، إنَّما هو أفضل فقط ، علمًا بأن حديث « **لا تُشَدُّ الرِّحَالُ** . . . » إلخ ، بهذا النص إنَّما هو من رواية عمر فيمن رواه .

وقول عمر هنا يفسر مراده هناك ، فلا تكون الرحلة إلى غير هذه المساجد عنده مما حرم الله (كما يزعمون) .

وقد رأينا عمر فيما رواه عبد الرزاق يشدد النكير على رجلين زارا بيت المقدس ، وهو من الأمكنة الثلاث المحثوث على شد الرحال إليها ، وكان ذلك اجتهاداً منه ، حتَّى لا ينشغل الناس عن زيارة الحرمين الكريمين بغيرهما ، سواءٌ من توفرت له المناسبات ومن لم تتوفر ، وحتَّى لا يسوي الناس بين حج بيت الله ، وحج بيت المقدس ، وذلك من قوله لهذين الرجلين : « **حَجٌّ كَحَجِّ البَيْتِ** » !! .

وهكذا ترى عمر الذي يرغب في الصلاة في مسجد « قباء » هو عمر الذي يعترض على زيارة بيت المقدس ،

وذلك يعني أنَّ لكل حكم سببه ، فلا تناقض بين هذه المواقف ، وإنما يؤخذ منها (فيما يؤخذ) أنَّ عمر ما كان يرى تحريم شد الرحال إلى غير هذه الأماكن إلا لأسلوب عارض أو سبب كبير .

سادساً : وكان هذا شأن عمر دائمًا ، فعمر الذي أمر بقطع « شجرة البيعة » التي كان يتبرك بها الناس [1] ، هو عمر الذي لم يردم « بئر حاء » ، وقد كان ولا يزال يتبرك

---

(١) التحقيق أن سيدنا عمر رضي الله عنه لم يقطع الشجرة وإنما جاء بعض الصحابة العام القابل من البيعة فبحثوا عن الشجرة فخفيت عليهم ، ولعله قطع بعض الشجر الذي ظَنَّه النَّاس شجرة البيعة ، وفي حديث مسلم (٣٤٥٩ ، ٣٤٦٠) عن سعيد بن المسيب ، عن أبيه : **أنهم كانوا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الشجرة قال : فنسوها من العام المقبل** ، وهو عند البخاري (٣٨٤٥) عن سعيد بن المسيب قال : حدثني أبي : **أنه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت الشجرة قال : فلمَّا خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها** ، ونحوه عند البخاري (٣٨٤٤ ، ٣٤٦١) ، وعند مسلم (٣٤٦١) ، والخلاصة أن الشجرة خفيت عليهم فلم يعرفوها ، والله أعلم .

بهـا النَّاس [١] ، فـإذا أنت أضـفت هذا إلى مـا فـصَّلنا به الحديث في المقطع السابق ، تبيَّن تهافت التفكير الذي يتاجر بـه (المتمسلفة) ، في سوق السطوح والقشور ، والتهويل والتعميم ، تقليداً وترديداً ببغاوياً لكلام سابق ممجوج ، أو جهلاً وتعصبًا ، وحبًا في المخالفة ، وفي مواجهة الجمهور بدعاوى الاختصاص بالمعرفة ووراثة الصواب ، والقوامة بالوصاية على دين الله من دون خلق الله .

سابعاً : جاء في كتاب « الدين الخالص » للمرحوم الشيخ محمود خطَّاب السبكي مؤسس الجمعية الشرعية – وكتابه هذا هو مرجع الجمعية الأكبر – في (٤ / ٥٩ ، ٦٠) ما نصُّه : « حديث « **لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثلاثة مساجد** » أي لا يطلب ذلك ، فليس نهيًا عن شدِّها لغيرها

---

(١) بئر حاء كانت لسيدنا أبي طلحة رضي الله عنه ، مستقبلة المسجد ، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشرب من مائها ، وكان ماؤها طيِّباً ، وما زال النَّاس يشربون منها تبركاً حتَّى ردمها الوهابيون .

خلافًا لبعضهم ؛ لأنَّه عليه الصلاة والسلام كان يأتي « قُبَاء » راكباً وماشياً ويزور القبور » . انتهى .

وقال الشيخ محمود خطَّاب رحمه الله في موضوع صلاة القصر (٤/ ٥٩) ما نصُّه : « ويترخص - أي القصر - إن قصد مشهداً ، أو قصد مسجداً ، ولو غير المساجد الثلاثة ، أو قصد قبر نبيٍّ ، أو غيره كوليٍّ » . انتهى من نفس الكتاب .

ويسعدنا أن نُقَدِّم هذا الاقتباس إلى رجال هذه الجمعية التي لا نزال نرى فيها خيراً ، ولا اعتبار عندنا لما كتبه المعلق في الحاشية [1] ، فإنما ننقل رأي الإمام نفسه ، وحسبنا به ثقةً وفقهًا فيما ننقل عنه .

---

(١) المعلق على الكتاب هو ابنه الشيخ أمين محمود خطاب ، وقد كتب هنا كلاماً خالف فيه ما ذهب إليه والده رحمهما الله ، فزعم أنَّ شدَّ الرِّحَال إلى غير المساجد الثلاثة منهيٌّ عنه ، تبعاً لابن تيمية ومن تبعه ، ثُمَّ عاد ورجع إلى الحق والصواب في تكملته لكتاب « الدين الخالص » التي سمَّاها « إرشاد النَّاسك إلى أعمال المناسك » .

وتكون النتيجة الواقعية من هذا جميعًا أنَّ شَدَّ الرِّحَال لزيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وقبور الصالحين حيثما كانت عملٌ مندوب إليه ، مباركٌ عليه ، وأنَّ الرحلة إلى الصلاة في المساجد (غير الثلاثة المباركة) عملٌ مشروع ، غير مدفوع ولا ممنوع ، لا عقلاً ولا نقلاً ، إلا عصبيةً ، أو نفعيةً ، أو جهلاً ، أو حبًّا في المخالفة .

ثامناً : ويسرنا كذلك في سبيل تأكيد الحقيقة أن ننقل هذه العبارات الطيبة من رسالة « العمرة والحج » للأستاذ الشيخ عبد العزيز عيسى وزير الأزهر السابق - وهو ليس صوفيًا - ليكون ردًّا على مانعي نية زيارة القبر الشريف عند الرحلة إلى المسجد . .

قال الشيخ عبد العزيز عيسى رحمه الله : « ومن ذا الذي ترضى نفسه أن يكون في هذه الديار لحجٍّ أو عمرة ، والسُّبُل أمامه مُيَسَّرة ، والطُّرُق مُعَبَّدة ، والرفقة موافقة ،

والأمور مواتية ، ثُمَّ لا يُعَرِّج على السراج المنير ، البشير النذير ، الهادي إلى الحق وإلى الصراط المستقيم ، صاحب الرسالة الكبرى ، والشفاعة العظمى ، صلوات الله وسلامه عليه .

من ذا الذي تطيب نفسه بأن يكون هناك ، ثُمَّ لا يَشُدُّ رحاله إلى مسجده صلى الله عليه وآله وسلم .

إنَّه لا تطيب نفسُ مؤمن إلا بزيارته صلى الله عليه وآله وسلم في حرمه ، ليشاهد الأنوار الربانية والفيوضات القدسية ، ويستمتع بالروضة الشريفة ، ويُصَلِّي ما شاء الله أن يُصَلِّيَ فيها ، وفي كل بقعة من الحرم المبارك ، ويخطو في الأماكن التي سعدت بمسيره ووقوفه وجلوسه ، وحديثه والتقاط أنفاسه ، صلوات الله وتسليماته ورحماته وبركاته عليه ، وعلى آله ، وأصحابه ، وأولاده ، وأزواجه ، ومتبعي سننه .

(٤) موضوع ابي هريرة والصلاة في الطور:

ولسوف يتصايح بعضهم محتجًا بقصة صلاة أبي هريرة في « الطور » واعتراض أبي بصرة [١] عليه ، على أن هذه القصة في جانبنا ، سياقها العلمي ، وبيانها الصريح كما سترى .

أولاً : روى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه قال : « **أَتَيْتُ الطُّورَ فلقيني حُمَيْل بن بصرة ، فقال لي : من أين جئت ؟ فقلت : من الطور ، قال : سمعت رسول الله**

---

(١) أبو بصرة هو : حُمَيْل بن بصرة بن وقاص الغفاري ، يكنى بأبي بصرة ، ويقال : حَميل بن أبي بصرة ، صحابي ، شهد فتح مصر ، عاش ومات ودفن بها ، اختلف في اسمه : حُمَيْل بالضم وعليه الأكثرون ، وصححه الأكثرون ، ونُقل الاتفاق عليه ، وقيل : حَميل بالفتح ، وذكر البخاري أنه وهم ، وقيل : جميل بالجيم ، قاله مالك في حديث أبي هريرة حين خرج إلى الطور ، وذكر البخاري وابن حبان أنه وهم أيضاً . انظر تهذيب التهذيب (٣/٥٦) ، والإصابة (١٨٤٦) ، وأسد الغابة (١٢٧١) .

صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « **صَلاةٌ في مَسْجِدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، فلو صَلَّيْتَ في هذا المسجد كان خيراً لك** »[1] .

وفي هذا الحديث نرى أبا هريرة رضي الله عنه قد شَدَّ الرِّحَال إلى الطور للصلاة فيه ، وهو من رواة حديث « **لا تُشَدُّ الرِّحَالُ** ... » بلفظه المعروف ، فلو كان قد فهم من الحديث حرمة شَدِّ الرِّحَال إلى غير المساجد الثلاث ، ما شَدَّ رحَاله إلى مسجد الطور .

ثانياً : نرى أنَّ حُمَيْل بن بصرة - وهو صحابي جليل - لم يقل بتحريم أو تأثيم ما فعل أبو هريرة ، من شَدِّ الرِّحَال إلى مسجد الطور ، ولكنه ذكَّره بفضل الصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وحُمَيْل بن بصرة أحد رواة حديث « **لا تُشَدُّ الرِّحَالُ** ... » أيضاً ، ومعاملته لأبي هريرة - وكلاهما من رواة هذا الحديث - تدل مطلق

---

(١) رواه البزار (١/ ٢١٤ ، ٢١٥ كشف الأستار) .

الدلالة على أنهم ما كانوا يفهمون من الحديث التحريم ، ولكنهم كانوا يفهمون التفضيل .

ثالثاً : خرج أبو هريرة من المدينة إلى « الطور » بنيَّة الصلاة ، وقد علمت أنه من رواة حديث « لا تشد الرحال . . . » ؛ فعند أحمد من حديث أبي بصرة رضي الله عنه قال : **لقيت أبا هريرة وهو يسير إلى مسجد الطور ليُصَلّي فيه ، قال : فقلت له : لو أدركتُكَ قبل أن ترتحل ما ارتحلت** (يعني قبل أن تجهز راحلتك وتركبها فعلاً) **قال : فقال : ولِمَ ؟ فقلتُ : إنّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « لا تُشَدُّ الرِّحَالُ . . . »** الحديث [1] .

وفي هذا الحديث نرى أنَّ أبا بصرة لم يأمر أبا هريرة بالعودة إلى المدينة وهو في طريقه إلى الطور ، ولو كان فهم من الحديث الذي رواه حرمة ذلك ما تساهل مع أبي

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٣٩٧) .

هريرة بمثل ما حدث من مجرد تذكيره بالأفضل ، وهو في بداية الطريق .

رابعـاً : ترى أنَّ أبا هريرة ، وقـد علمت أنَّه من رواة هذا الحديث ، لم يرجع عن عزيمته بكلام أبي بصرة ؛ بل ذهب فصلَّى في الطور ، ولو كان في هذا مجرد شبهة إثم ما فعله أبو هريرة ، وإنَّمـا كان بينهمـا التناصح باختيـار الأَوْلى فيما يعتقد الناصح .

ومن أدلة التأكيد على أن أبا هريرة خرج للصلاة في الطور لا لشيء آخر (كما يقول بعضهم) بالإضافة إلى ما قررناه في البنود السابقة ، ما جاء في رواية أحمد والطيالسي من حديث عمر بن عبد الرحمن بن الحارث ، **أنَّ أبا بصرة لقي أبا هريرة ، وقد جاء من الطور فقال : من أين أقبلت ؟ فقال : من الطور صَلَّيْتُ فيه** [1] .

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٧) ، والطيالسي (ص ١٩٢ ، ٣٢٧) .

وفي حديث مرثد بن عبد الله عند أحمد - بإسناد حَسَن كما في مجمع الزوائد - أنَّ أبا بصرة قال : **لقيت أبا هريرة ، وهو يسير إلى مسجد الطور ليُصَلِّي فيه**[1] ، ومعنى هذا أنه قد لقيه أثناء ذهابه ، وأثناء إيابه ، ولم ينكر عليه .

(٥) الخلاصة :

بكُلِّ هذا الإجمال قد وضح علميًا (عقلاً ونقلاً) أنَّه لا حرمة إطلاقًا في شَدِّ الرِّحَال للصلاة في غير المساجد الثلاثة .

وقد قررنا أنَّ الحديث على منطوقه لا يمنع شَدَّ الرِّحَال لزيارة قبور الصالحين كذلك ، وفي مقدمتها القبر النبوي الأشرف .

ولو سلمنا لهم بفهمهم لامتنع أن يتحرك أحد من

---

(١) سبق تخريجه .

مكانه إلى عمل صالح ، فلا تشد الرحال لطلب العلم ، ولا لحرب الأعداء ، ولا لصلة الأرحام ، ولا للدعوة إلى الله ، ولا لشيء فيه قربة ومثوبة .

فالمسألة لا تزيد على أنها نوع من التشويش والتهويل التقليدي ، والتعميم الأحمق الذي ترفضه القوانين العلمية ، ولا يتساوى مع سماحة الإسلام ومعاييره المنصفة .

نقول هذا ، ونستغفر الله ونتوب إليه .

من كلام الإمام الرائد

يَا مَنْ عَلَى بَابِهِ ذُلاً مَـددْتُ يَدي
فَـإِنَّ ذُلِّي لَكُمْ عِـزٌّ إِلَى الأَبَدِ
بَيْنَ الْمَتَابِ وَبَيْنَ الْعَفْوِ مُرْتَقَبٌ
أَهْوَى لِقَاكَ ، وَأَخْشَى مَا جَنَتْهُ يَدي

الزيارة عند الفقهاء

قال الإمام الفيروز آبادي : « **اعلم أنّ الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند قبره آكد ، فيستحب إعمال المطي لإدراك الفوز بهذا الشرف العظيم والمنصب الكريم** » .

وقد صرح باستحباب زيارته وكونها سنة مؤكدة من الشافعية : الرافعي ، والغزالي ، والبغوي ، والعز بن عبد السلام ، وابن الصلاح ، والنووي ، وغيرهم . ومن الحنابلة : ابن قدامة ، وأبو الفرج البغدادي ، وغيرهما . وأمّا المالكية : فحكى القاضي عياض إجماعهم على ذلك . ومن الحنفية : صاحب الاختيار وغيره .

ونصوص العلماء في ذلك كثيرة جداً ، ولو لم يكن إلا عمل الأمة وإجماعها لكفى وشفى .

الباب الرابع

وصف المسجد النبوي وشيء من تاريخه

أولا: مسجد المدينة وقباء وغيرهما:

كان أول مسجد بني في الإسلام هو « مسجد قباء »، وقد شارك النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في بنائه بشخصه وحمل الأحجار وعمل مع الرجال، وهو الذي حدد قبلته، وقد أقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قباء أربعة عشر يومًا أثناء الهجرة قبل دخول المدينة المنورة، وكانت المدينة تسمى « يثرب » قبل دخوله صلى الله عليه وآله وسلم إليها، ضيفًا على بني عمرو بن عوف.

ثُمَّ كان المسجد الثاني في الإسلام « مسجده » صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة، وقد شارك في بنائه صلى الله عليه وآله وسلم أيضًا بشخصه، حملاً وعملاً، ونشيداً مع الصحابة، ثم من بعده مسجد عمرو بن العاص بمصر،

وهو أول مسجد بني بأفريقيا ، ثُمَّ مسجدا البصرة والكوفة .

وأول من جَوَّف القبلة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، حينما كان والي المدينة في عهد الوليد ، ثُمَّ تبعه في مصر قرة بن شريك فجَوَّف قبلة مسجد عمرو بن العاص ، الذي وقف على تحديد قبلته يوم بنائه نحو سبعين صحابياً ، وذلك من دلائل اتخاذ إشارة تدل على القبلة ، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة أو التابعين الذين أدركوا هذا العهد ، فكان إجماعاً صحابياً متجدداً .

ثانيا : أرض مسجد المدينة :

ولَمَّا دخل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المدينة قصد إلى دار « أبي أيوب الأنصاري » حتَّى بنى مسجده (في مبرك ناقته) ، وكان هذا المكان مهملا فاشتراه

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من صاحبيه الأخوين اليتيمين (سَهْل وسُهَيْل) بعشرة دنانير ، وسوّى أرضه ، وبدأ بناءه ، فجعل القبلة من (اللَّبِن والحجارة) تمييزاً لها ، وكانت القبلة في شمال المسجد نحو (بيت المقدس) ، وكان اتساعه (٧٠ × ٦٠) ذراعاً .

ثالثا : تحويل القبلة :

وبقي النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يصلي إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ، ثم أمره الله تعالى أن يتجه إلى الكعبة ، وجاء الوحي بهذا وهو يصلي الظهر ، فصلَّى الرسولُ صلى الله عليه وآله وسلم الركعتين الأوليين إلى بيت المقدس ، والركعتين الأخريين إلى الكعبة [١] ،

---

(١) القول بأنَّ الأمر بتحويل القبلة نزل والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي فاستدار . رواه ابن سعد عن محمد بن عبد الله بن جحش ، ورواه البزار وابن جرير عن أنس . انظر الدر المنثور (١/ ١٥٠ ، ١٥١) .

وأصبح مكان القبلة الأولى موضعًا خاصًا بـ « أهل الصفة » وكان أمر تحويل القبلة - فيما قيل - في يوم الخامس عشر من شعبان في السنة الثانية من الهجرة .

رابعا : تجديد عمارة المسجد النبوي :

وقد تجددت عمارة المسجد النبوي مرات كثيرة منها عمارة « عثمان بن عفان » ، الذي بنى الجدران بالحجر الملون ، وجعل السقف بخشب السَّاج ، وأعمدته من الحجارة المنقوشة ، كما ذكره البخاري ، فكان أول من جَمَّل وشيّد المسجد النبوي ، وأصبح ذلك سُنَّة صحابية عملية .

ومنها : عمارة « الوليد بن عبد الملك » حين كان عمر ابن عبد العزيز واليًا على المدينة ، وقد استعان الوليد بملك الروم فأرسل إليه ملك الروم ما يلزم من المهندسين والعمال ، وأهداه مائة ألف مثقال ذهبًا ، مع غرائب

أقراص الفسيفساء محمولة على أربعين جملاً ، وكان بعض العمال من أقباط مصر الذين أحبوا الإسلام .

وقد بنى المصريون مقدم المسجد الشريف ، وبنى الروم بقيته ، وزينوه أفخم الزينة الفنية بالرخام والفسيفساء ، وفي هذا التجديد أدخلت حجرات زوجات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى ساحة المسجد ، ومنها حجرة السيدة عائشة التي دفن بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصاحباه .

وجعلت في أركان المسجد الأربعة أبراج (مآذن) للأذان ، وبنى عمر بن عبد العزيز (القبلة المجوفة) استناداً إلى ما كانت تتميز به القبلة من خصائص كالحجارة وجذوع النخل ليعرفها الناس في أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده .

خامسا : بعض التجديدات والتوسعات :

ثُمَّ توالت التجديدات والتوسعات ؛ فكان من الدُّور التي أدخلت في المسجد النبوي أثناء التوسعات والتجديدات : دار أبي بكر ، وعمر ، والعباس ، وبيت فاطمة ، وبيوت أمهات المؤمنين ، ودار خالد بن الوليد ، ودار الحسن العسكري ، ودار مروان بن الحكم ، ودار حفيدة ابن عباس ، ثم دار الوزير جمال الدين الأصفهاني ، ودار بنت السفاح ، وآخرين .

وكان من أعظم وأفخم التجديدات : عمارة « السلطان الأشرف قايتباي » للمسجد النبوي ، والعمال المصريون الذين جعلوا من كل أجزاء مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تحفة نادرة .

سادسا : أعمدة ذات تاريخ بالروضة :

في الروضة الشريفة عدد من الأسطوانات (الأعمدة)

لها تاريخ وخصائص منها :

١- الأسطوانة المشهورة باسم « **المُحَلَّقة** » بضم الميم وفتح الحاء ، وتشديد اللام مع الفتح : وهي التي كان يصلي إليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهي الثالثة من القبر الشريف والخامسة من الرحبة - صحن المسجد المكشوف - اليوم .

وهي متوسطة في الروضة ويسميها بعضهم « **أسطوانة عائشة** » لكثرة صلاتها إليها حين يخلو المسجد من الرجال .

٢- أسطوانة « **التوبة** » وهي التي ربط نفسه فيها أبو لبابة الأنصاري تائباً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي إليها أكثر النوافل ، ويلتقي بالناس في جدارها ، وكان يعتكف عندها .

قال المراغي : وهي الثانية من القبر الشريف ، والثالثة من القبلة ، والخامسة من الرحبة .

٣- أسطوانة « **أمير المؤمنين عليّ** » ، وكان يجلس إليها مما يلي الباب ليحرس النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولهذا سميت « **أسطوانة الحارس** » ، وكانت مقابلة لباب بيت السيدة عائشة المسمى « الخوخة » على المسجد .

٤- وفي شمال هذه الأسطوانة مما يلي الرحبة أسطوانة « **الوفود** » ، وهي التي كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يلتقي عندها بالوفود والضيوف ، وكانت مجلس كبار الصحابة وأشراف العرب .

٥- في الصحيحين عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **ما بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ من رِيَاضِ الجَنَّة** »(١) ، وجاء في رواية أبي هريرة رضي الله عنه : « **وَمِنْبَرِي على حَوْضِي** »(٢) .

وفيهما عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله

---

(١) رواه البخاري (١١٢٠) ، ومسلم (٢٤٦٣) .

(٢) رواه البخاري (١١٢١ ، ١٧٥٥) ، (٢٤٦٥) .

صلى الله عليــه وآله وسلم : « إنَّ مــا بيـن مِنْبَــري إلى حُجْـرَتي رَوْضَــةٌ مِنْ رِياض الجنَّة ، وإنَّ منبري على تُرْعَة مِنْ تُرَعِ الجَنَّة »[١].

وهناك في روايات أخرى : « ما بين قَبْري ومِنْبَري رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاض الجنَّة »[٢] ، وفيه كلام ، والله أعلم .

سابعاً : اليهود والحريق الأول للمسجد النبوي :

وفي عام (٦٤٥هـ) - في خلافة المستعصم - احترق المسجد النبوي بتدبير اليهود عندما أخفقوا في حفر النفق الأرضي - وقصته مسجلة بالتواريخ ليسرقوا رفاته الشريف صلى الله عليه وآله وسلم - فسكتوا حتى سنحت

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٤/٣٨٩) ، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٨) : « وفيه عليّ بن زيد وفيه كلام » ، وبعض الحفاظ يحسن حديثه .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/٦٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/٢٤٦) ، والبزار (٤/٤٤) وغيرهم .

لهم الفرصة فاستغلوا سذاجة حارس المسجد وتقربوا إليه كمسلمين كرام ، حتى استأمنهم فأوقدوها ناراً لم يسلم منها إلاّ مبنى التحف والذخائر .

وفي سنة (٨٨٦ هـ) أعاد اليهود حريق المسجد النبوي بوسائل غاية في الدهاء ، مستغلين بساطة الناس وسذاجتهم البدوية ، وبكل الوسائل أحرقوا المسجد للمرة الثانية ؛ وأذاعوا كذبًا أنها صاعقة سماوية ، والمؤسف المحزن بحق أن بعض المؤرخين صدق هذا الكذب المفضوح وقال : إنها صاعقة - كما قال اليهود ، وغاب عن فكره مكر اليهود ، وما وراء ذلك مما لا يغيب عن البال من تاريخهم : من خيبر إلى فلسطين .

ثامنا : مصر وتجديد المسجد النبوي :

عندما وصل خبر الحريق الأول قام من مصر السلطان عز الدين أيبك التركماني الصالحي وكبار المصريين وبعض

ملوك المسلمين - لانشغال الخليفة المعتصم - بمحاولة إعادة تشييد المسجد النبوي الشريف بما هو أفضل وأعظم ، وبقيت العمارة ست سنوات ، حتى جاء الملك الظاهر بيبرس فأكمل التجديد على أحسن الوجوه ، وكان قد شارك في كل ذلك الملك المصري الناصر ابن قلاوون ، والملك الأشرف برسباي ، والملك الظاهر جقمق ، والملك السلطان قايتباي ؛ بكل اهتمام .

أمّا في الحريق الثاني فقد قام بتجديد المسجد النبوي السلطان قايتباي ملك مصر العظيم ، فبذل في سبيل تشييد وتجديد المسجد كل طوقه ، وأنفق ما يزيد على مائة ألف دينار ذهبًا ؛ حتى أعاد إلى المسجد بهاءه وجلاله ، ثُمَّ بعد تشييد المسجد أهداه مصحفًا عجيبًا بخط كبار الخطاطين بمصر ، وقد حمل هذا المصحف الفريد إلى المدينة (جَمَلٌ قويٌّ) لكبره وفخامته .

وبقي تجديد قايتباي أكثر من أربعة قرون ، وفي القرن

الثالث عشر الهجري أنشأ السلطان محمود خان العثماني القبة الخضراء الشهيرة ، والتي أصبحت علماً تاريخياً عالمياً على المسجد النبوي الشريف .

تاسعاً : ملوك المسلمين والمسجد النبوي :

وتداول ملوك الإسلام والخلفاء والوجهاء العناية بالمسجد النبوي تشييداً وصيانة وتجديداً مع إهدائه غرائب وعجائب الكتب وأعظم وأندر الهدايا والتحف ، التي لا تُقَدَّر بمال ولا يوجد لها نظير في العالم إطلاقاً ، مما ضاع وتبدد في أثناء الغزو الوهابي للحجاز .

ثُمَّ كانت الدولة السعودية ، فقام الملك فهد بن عبد العزيز - في عصرنا هذا - بتجديد المسجد وتوسعته والاهتمام البالغ به ، مما لم يسبقه إليه أحد قط حتَّى لَيُمْكن اعتبار المسجد النبوي الآن من عجائب الآثار الإسلامية بالدنيا كلها .

عاشراً: أحاديث نبوية حول مسجد الرسول والمدينة:

١- في صحيح مسلم: «صَلاةٌ في مَسْجِدي هذا خَيْرٌ مِنْ ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المَسْجِدَ الحَرَامَ»[(١)].

٢- في حديث سهل: كان رَسُولُ الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم إذا سُئِلَ عن المسْجِدِ الذي أُسِّسَ على التَّقْوى قال: «هُوَ مَسْجِدي»[(٢)].

٣- في مسند أحمد: «مَنْ صَلَّى في مَسْجِدي أَرْبَعِينَ صَلاة، لا يفوتُهُ صَلاة، كُتِبَ له براءة من النَّار، ونجاة من العَذاب، وبَرِيءَ مِنَ النِّفاق»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (١١٣٣)، ومسلم (١٣٦٤) واللفظ له، وله روايات كثيرة، وقد سبق تخريج إحدى رواياته في أول هذه الرسالة.

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٣٥)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٠٧)، وقال الحافظ الهيثمي (٤/ ١٠): «ورجالهما رجال الصحيح».

(٣) سبق تخريجه.

٤- وفي الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ » ، وزاد أبو هريرة « وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي »[(١)].

٥- وفي صحيح مسلم : « اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَامًا ، وَإِنِّي حَرَّمْتُ المَدِينَةَ ، حَرَامًا مَا بَيْنَ مَأْزِمَيْهَا ، أَنْ لَا يُهْرَاقَ فِيهَا دَمٌ ، وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ ، وَلَا تُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لِعَلْفٍ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَعَ البَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ »[(٢)].

٦- وفي الأثر : « لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النَّار ذَوْبَ الرصاص » .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه مسلم (١٣٧٤) ، والنسائي في الكبرى (٢/ ٤٨٥) .

٧- وفي سنن ابن ماجه : « جَنِّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ وَمَجَانِينَكُمْ ، وَشِرَاءَكُمْ وَبَيْعَكُمْ ، وَخُصُومَاتِكُمْ ، وَرَفْعَ أَصْوَاتِكُمْ ، وَإِقَامَةَ حُدُودِكُمْ ، وَسَلَّ سُيُوفِكُمْ ، ، وَاتَّخِذُوا عَلَى أَبْوَابِهَا الْمَطَاهِرَ ، وَجَمِّرُوهَا فِي الْجُمَعِ »[1] ، أي بخروها .

ملاحظة : يجوز النوم في أحد أركان المسجد ، كما كان شأن أهل الصفة ، ثُمّ لِمَا صَحَّ عن ابن عمر أنّه كان كثير النَّوم في المسجد .

اخيرا : رجاء وأمنية في الله :

ولقد تمنينا وقد وفق الله هذا الملك لهذا العمل العظيم ، رغم ما هو معروف مما عاناه من بداوة الاستغلاق الفكري والتعصب الجاهلي ، من كهنة التشريك والتكفير العالمي ،

---

(١) رواه ابن ماجه (١/ ٢٤٧) واللفظ له ، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٠٣) ، والطبراني في الكبير (٨/ ١٣٢ ، ٢٠/ ١٧٣) .

بعد أن كادت أن تشمل مساحة المسجد الآن مساحة المدينة القديمة (يثرب) .

تمنينا لوجه الله وللتاريخ وللحضارة لو أنه يأمر بأن يكتب على بعض لوحات الرخام ببعض أركان المسجد أسماء بيوت الصحابة رضوان الله عليهم والأماكن والطرق القديمة ذات التاريخ الكريم ، ليعرف النَّاس ولو أسماء الرجال والشباب من السلف ، وتطور حركة التحول التي أدخلت بيوتهم وأحياءهم ، ضمن هذا العمل الجليل الخالد إن شاء الله .

وفي ذلك ما فيه من خدمة التاريخ والثقافة والحضارة والإسلام والعالم والعلم والدولة ، وحتى لا يتكرر مع الأسف ما أصاب ويصيب مكان ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبيوت كبار الصحابة من الرعيل الأول ، وما توحيه من عظيم المعاني وجليل الآثار .

وإذا كانت الدولة الآن بحمد الله بدأت تتحرر من أغلال الجمود والركود والجحود ، فاهتمت بآثار السلف على اختلاف الدين والعقيدة وغيرهما ، فليس بغريب أن نطلب منها ما يزيدها رفعة في عيون أهل القبلة ، مهما اختلفت المذاهب والسياسات ووجهات النظر ، والله الموفق المستعان .

ملحق وتذييل :

وقد كنا في حل من تَتَبُّع النفخ في النار ، وشغل الناس بهذه الفرعيات التوافه ، وهؤلاء الفتانون قد عموا وصموا عما يجري بين العروبة وما يعانيه الإسلام من أبنائه ومن أعدائه .

كما عموا عن هذا الهول الهائل والخطر الداهم المتمثل في العلمانية واللادينية والانحلالية ، و « الخنفسة » و « الهيبزة » ، والتهتك والانحراف العقدي العام ،

ومخاطر السينما والمسرح والتليفزيون ، والتجمعات الشبابية وغيرها ؛ مما يتهدد أصول الإسلام وتاريخه وحضارته ، بل يتهدد كيانه وبقاءه ، كل ذلك لا يهم هؤلاء الفتانين . إنما يهمهم أن يلبسوا على الناس دينهم ، وأن يقفوا بأبواب المساجد ليسبوا الداخلين إليها ، ويمنعوا القاصدين نحوها باسم البدع الموهومة والشرك المصطنع ، وهم بذلك يمكنون لخصوم هذا الدين من مصارعته في جو الغفلة والجمود والرجعية التي تعهدونها في الناس .

فما نرى منهم غضبة لفجور يؤتى ، ولا دفعاً لغارة داعرة ، مما نرى ونسمع ونحس هنا وهناك ، ولا رأينا منهم نقداً للترف الوقح والإقطاعية الآثمة والشهوات والنزوات المجنونة التي يخب ويضع فيها أئمتهم وسادتهم من أدعياء السلفية وأدعياء حراسة الدين ومقدساته .

فمثلاً تزلزل الأرض زلزالها لبناء قبة على قبر ، ولا

تزلزل لبناء قصر به مائة حجرة للمحاظي والسراري ، وتخرج الأرض أثقالها إذا زار مسلم ضريح ولي ، ولا تخرج أثقالها وآلهتهم يزورون أقبح الكباريهات ، وأفجر (علب الليل) بالهرم وإيطاليا وفرنسا وبيروت ، ويستحل دم المسلم الذي يتوسل إلى الله بأحبابه ثم يعصم دم المتوسل بالكفرة والمعتصم بالاستعمار والمتآمر على العروبة والإسلام .

أيها النّاس : قليلاً من الحياء ، إن لم يكن قليل من العقل والإنصاف ؟! .

وبعد : فالحق قررنا ، ومن استغنى فالله عنه أغنى .

ونحن نكتب هذا لا أملاً في عودة هؤلاء إلى الرشد ، فكثير منهم كما يقول تعالى : ﴿ **وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ** ﴾ .

إنما نكتب ابتغاء وجه الله وقايةً وتذكيراً وتبصيراً لمن لم يضر بهم هذا الوباء الرهيب .

ابتهال وختام :

اللهم إنّي كتبت هذا بكل ما في نفسي من صدق وإخلاص وحب للإسلام والمسلمين رجاء التقريب بينهم ، والتوفيق بين مذاهبهم وآرائهم ، ورجاء صرفهم إلى ما هو أجدى وأهدى وأجدر وأخطر ، من شئون الإسلام والمسلمين .

وفي ليل هذه الفتن المظلمة ، والفواجع المتراكمة ، وحين لم يبق أحد من الدعاة فيما أعرف يقوى على الصراحة في مثل هذه الكتابة وموضوعاتها الشائكة (خوفًا أو طمعًا أو نحو ذلك) ؛ فإني أُسَجِّل هذا شفاعة إليك ، ورغبة في عفوك ومغفرتك ، وسترك وتأييدك ، رجاءً مكرراً محرراً في رضاك وحسن الخاتمة ، وأنت الحسيب

والرقيب ، فتقبلها مني بفضلك إيمانًا واحتسابًا .

اللهم إنِّي أسألك حسن الجزاء لكل من أحسن الظن بي فنقل عني من أهل عصري في هذه الموضوعات وغيرها ما ينفع المسلمين تبصيراً أو تذكيراً ، فتلك نعمة لا أحصي عليك سبحانك ثناءً فيها ، ولا في غيرها ، يا رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وأمته إلى يوم القيامة .

وكتبه المفتقر إليه تعالى وحده

محمد زكي الدين بن إبراهيم الخليل الشاذلي

رائد العشيرة وشيخ الطريقة الشاذلية المحمدية

رحمه الله تعالى رحمة واسعة

باب الله وأبواب الملوك

في إحدى زيارات شيخنا الإمام الرائد محمد زكي إبراهيم رحمه الله لبيت الله الحرام ، هاله ما رأى من مباني ضخمة ، وقصور شاهقة ، وأبواب عالية ، لبعض الملوك والأمراء ، تكاد تكتم أنفاس بيت الله الحرام من كل جانب . .

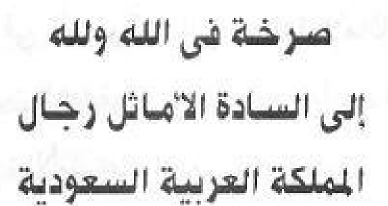
وكان في ذلك الوقت قد انتشرت للأسف ظاهرة انتشار « أطباق الاستقبال - الدش » على أسطح هذه المباني بمكة المكرمة ، فقال فضيلته :

أَبْصَرْتُ حولَ البَيْتِ أبواباً عَلَتْ

باسم المُلُوكِ وباسم أهْلِ الجَاهِ

فأَخَذْتُ أرْكُضُ ها هناك وها هنا

في النَّاسِ أسْئلُ : أيْنَ بابُ الله



نص الرسالة التي أرسلها فضيلة مولانا الإمام محمد زكي إبراهيم رائد العشيرة المحمدية بمصر المحمية ، إلى الملك فهد بن عبد العزيز ورجال المملكة العربية السعودية .

في ذي القعدة ١٤١٣ هـ الموافق مايو ١٩٩٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

صرخة (*) في الله ، ولله ، إلى السادة الأماثل :

١ - خادم الحرمين الشريفين : الملك فهد بن عبد العزيز .

٢ - ولي العهد : الأمير عبد الله بن عبد العزيز .

٣ - أمير مكة : الأمير ماجد بن عبد العزيز .

٤ - السادة أولياء الأمور بالمملكة العربية السعودية الناهضة .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وفقكم الله جميعاً إلى محابه ومراضيه .

وبعد :

(*) أرسل شيخنا رحمه الله هذه الرسالة إلى الملك فهد وكبار رجال المملكة السعودية ، وقد سلمها اللواء زكي بدر وزير داخلية مصر السابق رحمه الله للملك فهد يداً بيد ، وكان ذلك في ذي القعدة ١٤١٣ هـ الموافق مايو ١٩٩٣ م إثر اجتماع لصفوة علماء العالم الإسلامي بدار فضيلة الإمام الرائد رحمه الله .

أولاً

فمن أجل الإسلام والمسلمين ، ومن أجل التاريخ والدين ، ومن أجل حضارة الإسلام وصورته في أعين علماء البشرية ، وحفاظاً على البقية الباقية له من تقدير عند خصومه ، والمتربصين به وبأهله ، ومن أجل ألاّ نضيف جراحاً جديدةً إلى ما تمزق به الجسد الإسلامي من جراحٍ كانت ، وما زالت ، وسوف تبقى تنزف الحزن والألم والأسى ، بَلْهَ الخزي والعار .

ومن أجل محض العلم وسعة الأفق وبُعْد النظر ، والإحاطة بالحقائق ودقائق الأمور ، الحاضرة والمستقبلة ، ومن أجل استبقاء حب المملكة السعودية الناهضة في قلوب المسلمين ، وتنمية هذا الحب في الله وبالله ولله .

نقول ، والله شهيد :

ثانياً

أثارت المسلمين في إطار العالم كله شائعة رهيبة تتلخص في أنه : مطلوب من الحكومة السعودية الموافقة على إزالة آخر ما تبقى بمكة المكرمة من الآثار الإسلامية ، وهو المكان الذي ولد فيه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان مسجداً فهدم ثم جعل مكتبة لأمر ما .

وكان ذلك بعد ما أزيل من قبلُ بيت أم المؤمنين خديجة الكبرى [1] ، وحولوه إلى (دورة مياه ومراحيض)

---

(١) قال شيخنا الإمام الرائد رحمه الله تعالى :

« بيت السيدة خديجة رضي الله عنها :

١ - معتصم شباب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومهوى فؤاده ، وملتقى إرهاص النبوة .

٢ - ومولد أبنائه الأشقاء الستة المكرَّمين من خديجة ، ومراح صباهم .

٣ - ومعهد التربية الربانية للإمام عليّ كرم الله وجهه ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ورابع الخلفاء الراشدين .

مع الأسف والألم البالغ ، والواقع المؤلم الذي لا يتصوره عقل ولا دين . . ولا خلق . . ولا إنسانية . .

وكما أزيل بيت سيدنا الإمام عليّ ، وكما أزيلت دار الأرقم ، وكما أزيل مسجد بلال وغيره من الآثار

---

٤ – ومنزل الوحي الأقدس من البعثة إلى الهجرة ، ومأرز صاحب الإسراء .

٥ – ومحتوى الأحداث الكبرى بين الشرك والتوحيد في صدر الإسلام بآياته ومعجزاته .

٦ – وخزانة التاريخ والاعتبار والعظة والذكرى والقوة الخالدة بلا نظير ، وملجأ بلال الحبشي ، وسلمان الفارسي ، وصهيب الرومي ، وإخوانهم من أبطال الإسلام الأوائل .

أيُّها النَّاس : هل هذه المفاخر العظمى تصير (مباول ومراحيض) حين تقام الأسوار ، وتحاط بالجنود لحماية اليهود وعبدة الأوثان ، من قبل ومن بعد ، في نفس الأرض والدولة والمكان ؟!! وباسم الإسلام ورسوله ؟!! . ومثل ذلك ما مُحيَ وما يُمحى مما يذكر بمجد الإسلام ، وعظمة الرسالة ، وإنه لكثير ومثير !! .

اللهم إنها لمن أشراط الساعة التي لا تطيقها العقول ؟!» . اهـ

الشريفة الهامة التي كانت تعج بها مكة وجبل أبي قبيس ، مما يعتبر من ذخائر الدنيا ، ونوادر ذكريات دعوة الإسلام .

ثالثاً

ولا يزال يحز في نَفْس العالَم الإسلامي ، ما أزيل من قبل بالمدينة المنورة من الآثار والفرائد التاريخية العظمى ، ومنها بيت الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام ، وبيت أبي أيوب الأنصاريّ ، وبستان سلمان الفارسيّ .

كما أزيلت بئر (حاء) ، وبئر (الخاتم) ، وكما أزيل (الخندق) ، ومسجدان من المساجد السبعة التي بنيت على أرض معركة (الأحزاب) ، وبقية هذه المساجد في طريقها إلى الإزالة كما يقولون .

وكما أزيلت بالمدينة المنورة أشهر مكتبة إسلامية عالمية ، وأحفلها بنوادر الكتب والمخطوطات ، وأجمعها للطرز الإسلامية في الأبنية ، أعني : مكتبة (عارف حكمت) .

كما أزيل (جبل الرماة) الذي كان مجاوراً (لأحد) ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

رابعاً

كلُّ هذه الآثار وغيرها من مفاخر التاريخ الإسلامي ، إنما أزيل وأبيد باسم التوحيد المظلوم ، والخوف من الشرك الموهوم المزعوم ، وقد ضرب لنا سيدنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المثل المعقول المقبول في مثل هذا المقام بالذات ، فإنه لما فتح مكة لم يأمر بهدم الكعبة لما كان حولها من الأصنام ، وما كان يأتيه الجاهليون من أقوال الشرك الصريح وأفعاله ولكنه طهَّر الكعبة ، وأرشد الناس .

وسنذكر بعض ما جاء في كتاب الله ، وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن كيفية معاملة الآثار والانتفاع بها في دعوة التوحيد وتأكيده ، بعد أن نقدم شيئاً مما جاء في دستور المملكة السعودية الناهضة في الاهتمام بآثار ما

قبل الإسلام ، من مخلفات اليهود والجاهلية .

وقد رأينا آثار اليهود في (خيبر) ، وفي (الحرة الشرقية بالمدينة المنورة) قائمةً ومُحَافظاً عليها ، ومكتوباً عندها « ممنوع اللمس أو الاقتراب بأمر الآثار » كما هو على حصن كعب بن الأشرف مثلاً .

ورأينا آثار (ثمود – قوم صالح) بمنطقة (العلا) غير بعيد من المدينة النبوية ، وبها مركز سياحي سعودي وحرس يحافظ عليها ، ومعروف أنّ الحكومة السعودية استقدمت خبراء من أوربا وغيرها للبحث عن الآثار بـ (الدرعية) وغيرها من أرض الجزيرة .

فهل ما أشرنا إليه من بقايا الآثار الإسلامية التاريخية العظمى ، أقل خطراً من حصن كعب بن الأشرف ، وبقايا أرض ثمود والدرعية ؟ .

كيف يصبح بيت خديجة مراحيض ، حين يمنع مجرد اللمس لبقايا آثار الجاهلية وبني إسرائيل ؟ .

ثُمَّ يُطْلَب بعد ذلك أن يزال آخر أثر بقي للإسلام بعد الحرمين بأرض الحجاز ، وهو المكان الذي ولد فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؟ .

إنَّ هذا لشيء عجاب أو هو أعجب من العجاب ! ! .

فليبق الأثر وليمنع الناس من إتيان التجاوزات التي يمنعها المانعون بالحجاز ، كما هو حادث في المسجد النبوي وغيره ، ولتكن القدوة برسول الله حين طهر الكعبة ، ولم يمسها بسوء .

إنَّ الأمر عالمياً وعلمياً وسياسياً وإسلامياً ، أبعد بكثير مما يطلبه أولئك الناس من الحكومة هناك .

﴿ ولتعلمنَّ نبأه بعد حين ﴾ .

خامساً

لست أدري ، ولا أحد يدري ما هو الغيب الرابط بين (الهنادكة ودول شرق آسيا) الذين يتتبعون الآثار

والمساجد والمعالم الإسلامية لمحوها وإبادتها كما فعلوا بالمسجد (البابري) أقدم وأعظم الآثار الإسلامية بالهند وما حولها ، وبين (الصربيين) الذين لم يدعو أثراً ولا مَعْلَماً إسلامياً في البوسنة والهرسك ، وبورما إلاّ دمّروه وخرّبوه ، وبين هؤلاء الذين يتتبعون معالم النبوة وبقايا آثارها في أرض الحرمين لمحوها وإبادتها ؟! .

أولئك يفعلون ما يفعلون (خدمةً) للشرك على زعمهم ، وهؤلاء يفعلون ما يفعلون (خوفاً) من الشرك على زعمهم .

فالشرك قاسم مشترك بين هؤلاء وأولئك ، كوسيلة في تحقيق المقاصد والأغراض ، مع شديد التناقض ، وأكيد الاختلاف .

هنا سرٌّ عميقٌ دقيقٌ ، لا يفوت أهل التحقيق !! .

سادساً

إنَّ مما يذكر بالخير للحكومة السعودية ، ومدى إدراكها لمقتضيات السابق واللاحق من أمور التاريخ وأصول الحكم ومقتضيات الحضارة أن تحررت من الضغوط الخرقاء البلهاء فأنشأت بها (إدارة الآثار) بالمرسوم الملكي رقم (م ٢٦ في ٢٣ / ١٣٩٦) وشكلت لها مجلساً أعلى بقرار مجلس الوزراء (رقم ٢٣٥ في (٢١/ ٢/ ١٣٩٨) .

وقد حَدَّد القانون أنَّ من الآثار التي يجب المحافظة عليها بالنص (الأبنية التاريخية المنشأة لغايات مختلفة ، كالمساجد وأماكن العبادة ، والقصور والبيوت ، والقلاع والحصون ، والأسوار والملاعب ، والحمامات ، والمعارض ، والقنوات) ٠٠ إلخ ٠ وذلك في البند (أ) من المادة (٧) .

كما جاء بالمادة (١١) بالنص (يحظر إتلاف الآثار المنقولة أو الثابتة ، أو تحويرها أو إلحاق الضرر بها أو تشويهها أو تغيير معالمها) . . . إلخ .

وجاء بالمادة (١٢) بالنص : « يتعين عند وضع مشروعات تخطيط المدن والقرى ، أو توسيعها أو تجميلها ، المحافظة على المناطق والمعالم الأثرية فيها ، ولا يجوز إقرار مشروعات التخطيط التي يوجد في نطاقها آثار ، إلاّ بعد أخذ موافقة دائرة الآثار عليها ، وعلى دائرة الآثار تحديد الأماكن التي يوجد فيها معالم أثرية وإحاطة جهاز تخطيط المدن علما بذلك » .

نقول : والذي حدث والذي يحدث والذي يطلبه الطالبون الآن من الحكومة السعودية مخالفٌ كل المخالفة لهذا القانون ، فضلاً عن مخالفته لما سوف نشير إليه من الكتاب والسنّة ، والمخالفة التامة لفتاوى إمامهم الأعظم الشيخ (أحمد بن تيمية) .

بالإضافة إلى مخالفة المعقول والمنقول الأخلاقي والإنساني والحضاري والعالمي .

سابعاً

إنَّ كل ما قدمناه إنما هو إشارات ، وعناوين موجزة لقضايا بالغة الخطورة ، مما يغيب عن مدارك الحمقى والبلهاء وذوي التسلط العصبي ، الذي يطلبون إبادة آخر آثار النبوة من أرض النبوة ، ولا يعرف أحد من العلماء الثقات العدول ، ولا غيرهم أية خصومة موروثة ، تلك التي تعقدت بها صدورهم نحو النبيِّ - صلى الله عليه وآله وسلم - وآله والذين معه ، ونحو كل ما يدل عليهم أو يُذكر بهم ، متسترين باسم (التوحيد والسُّنَّة) ونحوها من غلالات مفضوحة جاهلية ، لا تخفي الغل على الذين آمنوا وما يتعلق بهم من حسيات ومعنويات .

إنَّ ما دخل من هذه الآثار في توسعات الحرمين إنما هو

فضل اختص الله به أصحاب هذه الآثار ، ومن أدخلها ، ولم يبق إلا الإشارة إلى مواضعها على الأعمدة والسواري التي قامت على أنقاضها ، احتفاظاً بحقها التاريخي والديني وتثقيفاً لزوار الحرمين بمعرفة جانب من مراحل التاريخ الإسلامي العظيم .

فما لم يكن ذلك ممكنا ، فلعله مما يرضي الله وعقلاء المسلمين وعلماء التاريخ والثقافة أن يسجل في المداخل الكبرى للحرمين على الرخام أو غيره ذكر الأبنية والشعاب وغيرها ، فذلك هو الواجب التاريخي والعلمي والشرعي والحضاري ، وهو الحق المبين .

ثامناً

وهنا نذكر بلا تعليق بعض ما يحضرنا من آيات القرآن المجيد بشأن القيمة الكبرى التي تحملها [الآثار] ، وتدعو إليها على طريق الحضارة الإسلامية الشاملة .

قال تعالى :

١ - ﴿ وَاتَّخِذُوا من مَقَامِ إبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ البقرة : ١٢٥ .

٢ - ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ البقرة : ٢٤٨ .

٣ - ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ يوسف : ٩٣ .

٤ - ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ طه : ١٢ .

٥ - قصة الكهف وأصحابه وكلبهم (بسورة الكهف) .

٦ - قصة السامري والقبضة التي قبضها من أثر الرسول (بسورة طه) .

٧ - وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ... ﴾ الحج : ٤٠ .

٨ - وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ ﴾ غافر : ٢١ .

٩ - ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ﴾ الفجر : ٦ - ١٠ .

١٠ - ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ النمل : ٥٢ .

١١ - ﴿ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ القصص : ٥٨ .

١٢ - ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾ الشعراء : ١٢٨ .

وتحري مثل هذه المعاني في القرآن والتعليق عليها ، وشرح معانيها وربطها بالدين والحضارة ، مما يحتاج إلى تآليف متعددة ، والذي يريد وجه الله تكفيه الإشارة .

تاسعاً

أمّا السُّنَّة الشريفة ففيها كنوز من دلائل هذا الجانب ، بل والتبرك به :

١ - قصة ابن أم مكتوم الذي زاره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وصَلَّى في بيته ، واستأذن أن يُصَلِّي مكان صلاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأذن له [١] .

٢ - قصة فاطمة بنت أسد ، وكيف نام النبيّ في قبرها بعد أن كَفَّنها ببردته .

٣ - قصة الجذع الذي كان يتكيء عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته وكيف أكرمه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ودفنه ولم يُلْقِ به في العراء ؟! .

---

(١) ونحو ذلك ما رواه النَّسائي في سننه (٧٢٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أنّ أم سُلَيم سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيَها فيُصَلّي في بيتها فتتخذه مُصَلّى فأتاها صلى الله عليه وآله وسلم فعَمَدت إلى حصير فنضحَتْه بماء فصلّى عليه وصلّوا معه .

٤ – قصة الشعرات التي كان يتبرك بها خالد بن الوليد .

٥ – قصة معاوية وكيف طلب قطعة من قصاصة أظافر النبي لتوضع على وجهه عند دفنه .

٦ – كيف أنَّ الإمام مالك كان يمشي حافياً بالمدينة احتراما وتبركاً لآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٧ – وعن أبي بُرْدَة رضي الله عنه قال : قدمتُ المدينة فلقيني عبْدُ الله بن سَلاَم ، فقال لي : انطلق إلى المنزل فأسْقِيكَ في قَدَحٍ شرب فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتُصَلِّي في مَسْجدٍ صَلَّى فيه النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فانطلقْتُ معه فسقاني سَويقاً ، وأطعمني تمراً ، وصلَّيْتُ في مَسْجده . رواه البخاري (٦٧٩٦) .

٨ – وعن أبي مِجْلَز : أنَّ أبا موسى كان بين مكة والمدينة فصلَّى العشاء ركعتين ، ثُمَّ قام فصلَّى ركْعَةً أوْتَر بها فقرأ فيها بمائة آيةٍ من النِّساء ، ثُمَّ قال : ما ألَوْتُ أن

أضع قَدمي حيثُ وضع رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَدَمَيْهِ وأنا أَقْرأُ بما قَرَأَ به رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم . رواه أحمد (١٨٩٢٥) ، والنسائي (١٧٠٩).

٩ - وعن نافع : أنَّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره أنَّ النَّاسَ نزلُوا مع رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم على الحِجْرِ أرْضِ ثَمُودَ فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يهريقوا ما استَقَوا ، ويعلفوا للإبل العجين ، وأمَرهُمْ أن يَسْتَقُوا من البئر التي كانت تَرِدُهَا النَّاقَةُ . رواه مسلم (٥٢٩٤) .

قال النَّووي في الشرح (١١٨/٨) : وفي هذا الحديث من الفوائد التبرك بآثار الصالحين .

عاشراً

ونعـــرض هنا رأي الشيخ (ابن تيـمـيـــة) الذي لا يخرجـون عن قولـه ، يقـول في موضـوع الاهتمـام بالآثار والتبرك بها :

« فالذي بلغني في ذلك قولان عن العلماء المشهورين :

أحدهما : النهي عن ذلك وكراهته » .

ونقـول : إنَّه حتى من رأى النهي عن التعـبـد عندها والتبرك بآثار الأنبياء والصالحين لم يروا هدمها .

ثُمَّ قال الشيخ (ابن تيمية) :

« والقول الثاني : أنه لا بأس باليسير من ذلك كما نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يتحرى قصد المواضع التي سلكهـا النبي صلى الله عليـه وآله وسلم ، وإن كـان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم قد سلكها اتفاقاً لا قصداً » .

قلتُ : فقد بل كان يأخذ بخطام ناقته حتى تنزل في

الموضع الذي نزلت فيه ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

« قال الشيخ الخواتيمي : سألنا أبا عبد الله عن الرجل يأتي هذه المشاهد يذهب إليها ترى ذلك ؟ قال : أمَّا على حديث ابن أم مكتوم أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يصلي في بيته حتى يتخذ ذلك مُصَلًّى ، وعلى ما كان يفعله ابن عمر يتتبع مواضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأثره ، فليس بذلك بأس أن يأتي الرجل المشاهد إلا أن الناس قد أفرطوا في هذا وأكثروا فيه » .

نقول : وهنا يجب الإرشاد لا الهدم .

« وكذلك نقل عنه أحمد بن القاسم : أنه سئل عن الرجل يأتي هذا المشاهد التي بالمدينة المنورة وغيرها يذهب إليها ؟ ؛ فقال : أمَّا على حديث ابن أم مكتوم « أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيه فيُصَلِّي في بيته

حتى يتخذه مسجداً » أو على ما كان يفعل ابن عمر : كان يتتبع مواضع سير النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أنَّه رؤي يصب في موضع ماء ، فسئل عن ذلك ، فقال : كان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يصب ها هنا ماء . قال : أمَّا على هذا فلا بأس . قال : ورخص فيه . ثُمَّ قال : « ولكن قد أفرط النَّاس جداً وأكثروا في هذا المعنى » .

ونقول : هنا يجب الارشاد والتوجيه ، لا الهدم ولا التخريب .

ثُمَّ قال : « واستحب آخرون من العلماء المتأخرين إتيانها ، وذكر طائفة من المصنفين من أصحابنا وغيرهم في (المناسك) استحباب زيارة هذه المشاهد ، وعدُّوا منها مواضع وسموها .

وأمَّا أحمد : فرخص منها فيما جاء به الأثر من ذلك ، إلا إذا اتخذت عيداً مثل أن تنتاب لذلك ، ويجتمع عندها

في وقت معلوم ، كما يرخص في صلاة النِّساء في المساجد جماعات ، وإن كانت بيوتهن خيراً لَهُنَّ إلا إذا تبرَّجْنَ ، وجمع بذلك بين الآثار ، واحتجَّ بحديث ابن أم مكتوم » . اهـ

(اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم ص ٣٨٧) [1] .

ومما قدمنا من كلام الشيخ ابن تيمية وما استشهد به فيما قدمنا نأخذ أن آثار الأنبياء والصالحين لها أهميتها التاريخية والروحية والحضارية ، وبذلك تقوم الحجة على الخطأ الفاحش الذي ينبني على فتوى الهدم والإبادة خصوصا على آخر آثار الإسلام بالبلد التي نبع منها الإسلام .

---

(١) وانظر كتاب « مفاهيم يجب أن تصحح » للسيد الداعية المبارك فضيلة الشيخ محمد علوي المالكي المكي ، باب التردد على الآثار النبوية والمشاهد الدينية والتبرك بزيارتها .

﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾

وفقكم الله جميعا إلى محابه ومراضيه ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

وكتبه المفتقر إليه تعالى وحده
محمد زكي الدين بن إبراهيم الخليل الشاذلي
رائد العشيرة وشيخ الطريقة الشاذلية المحمدية
رحمه الله تعالى رحمة واسعة

يا مسلمون :

كيف ننشغل بهذه التوافه ، وننسى ما يجري لمسلمي البوسنة والهرسك ، وألبانيا ، وطاجكستان ، وآذربيجان ، والشيشان ، والصومال ، وبورما ، وتايلاند ، وكشمير ، والفلبين وغيرها . إنّ هذا لهو الخزي والعار ، والفضيحة والغيبوبة عن الواقع الرهيب .

مقتطفات مختارة

من رسالة « نصيحة للإخوان علماء نجد »

للسيد يوسف هاشم الرفاعي

وزير الأوقاف الكويتي سابقاً

لفضيلة الشيخ السيد يوسف هاشم الرفاعي رسالة مهمة سمّاها « نصيحة للإخوان علماء نجد » وقد طبعت بتقديم العلامة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، ورغبة في الإفادة نقتطف منها ما يتعلق بالآثار النبوية وما أصابها من هدم وطمس وتخريب .

جاء في « نصيحة للإخوان علماء نجد » للسيد يوسف هاشم الرفاعي حفظه الله ما يأتي :

بسم الله ، الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ، وعلى آله وصحبه الكرام ومن والاه . .

وبعد :

فانطلاقاً من قول النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : « الدين النصيحة » قلنا : لمن ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

فبعد صدور كتابي « الرد المحكم المنيع » وصدور عدة كتب لأهل العلم انتظرت لعله ينصلح أو يتغير شيء من تصرفاتكم وأساليبكم ، ولكن لم يحصل من ذلك شيء .

وحيث أن الله تبارك وتعالى يقول في سورة العصر : ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾ فقد

عزمت بعد الاستخارة أن أتوجه إليكم بهذه النصيحة التي أرجو أن تكون مقبولة ، سائلاً المولى تعالى أن يرينا وإياكم الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، وأن لا يجعله علينا متشابهاً فنتبع الهوى ، والله الهادي للصواب .

فأقول وبالله التوفيق :

١ - أتيتم بالمرتزقة والجهال من العابسين عند المواجهة الشريفة يستدبرون المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بأقفيتهم وظهورهم ، ويستقبلون زواره والمسلمين بوجوه عابسة مكفهرة تنظر إليهم شزراً ، متهمة إيَّاهم بالشرك والابتداع ، يكادون أن يبطشوا بهم ، يوبخون هذا ، وينتهرون ذاك ، ويضربون يد الثالث ، ويرفعون أصواتهم زاجرين متجاهلين وناسين قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

عليمٌ ﴿١﴾ يا أَيُّها الَّذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النَّبيِّ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعضٍ أن تحبط أعمالُكُم وأنتم لا تشعرون ﴿٢﴾ إنَّ الَّذين يغضُّون أصواتهم عند رسولِ الله أُولَئِكَ الَّذين امتحن الله قلوبهم للتَّقوى لهم مغفرة وأجرٌ عظيمٌ ﴿٣﴾ إنَّ الَّذين ينادونك من وراءِ الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ .

٢ - تمنعون النِّساء من زيارة البقيع الشريف بلا دليل قطعي مجمع عليه من الشرع ، وتضيقون على المسلمين في الزيارة إلا في أوقات محدودة وقصيرة ، حتى أن بعضهم ينتهز فرصة تشييع الجنائز ليزور البقيع الشريف . وقد منعتم المزوِّرين في المدينة المنورة من مرافقة الزائرين ، وقطعتم أرزاقهم ، وبدونهم صار النَّاس يتخبطون ولا يعرفون أماكن قبور آل البيت الكرام وأمهات المؤمنين والصحابة رضي الله عنهم ، وهذا ظلم وتعسف وقهر

وبطر ، لا يرضاه الله تعالى ولا رسوله الكريم ، فانتهوا هداكم الله .

٣ - هدمتم معالم قبور الصحابة وأمهات المؤمنين وآل البيت الكرام رضي الله عنهم ، وتركتموها قاعاً صفصفاً ، وشواهدها حجارة مبعثرة ، لا يعلم ولا يعرف قبر هذا من هذا ، بل سُكِب على بعضها[1] « البنزين » فلا حول ولا قوة إلا بالله العَليِّ العظيم .

فهلا أبقيتم وسمحتم بالتحجير وهو مباح ، وارتفاع القبر شبراً وهو مباح مع الشاهدين ؛ فقد ثبت أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم وضع حجراً على قبر عُثمان بن مظعون رضي الله عنه ، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم : « **أتَعَلَّمُ بها قبر أخي وأدْفِنُ إليه من ماتَ من أهلي** »[2] .

---

(١) قبر السيدة آمنة بنت وهب أم الحبيب المصطفى نبي هذه الأمة صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) رواه أبو داود (٣/ ٥٤٣) ، وإسناده حسن .

وقال خارجة بن زيد : « **رأيتُني ونحن شُبّان في زمن عثمان رضي الله عنه وإنّ أشدَّنا وثبةً الذي يثبُ قبر عثمانَ بن مظعون حتى يُجاوزه** »[1] .

٤ - سمحتم لأحد المحسنين من أهل المدينة بهدم وإعادة بناء مسجد أبي بكر الصِّدّيق رضي الله عنه في جبل الخندق على حسابه الخاص ، وبعد الهدم أوقفتم رخصة البناء لأنكم تعتبرون زيارة المساجد السبعة في موقع معركة الخندق النازلة فيها سورة الأحزاب بدعة ، بل وتتمنون هدمها جميعا .

٥ - أعملتم معولكم في هدم آثار النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة الكرام في المدينة المنورة خاصة والحرمين الشريفين عامة ، حتى كاد أن لا يبقى منها إلا المسجد النبوي الشريف وحده في حين أنَّ الأمم تعتز وتحتفظ بآثارها ، ذكرى وعبرة ودليلاً على ماضيها التليد ،

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٢٦٤ فتح) .

وترون أنَّ كل أثر يُقصَد للاطلاع والزيارة شرك بالله تعالى ، والله أمرنا بأن نسير في الأرض لننظر آثار المشركين فنعتبر بها ، كعاد وثمود الموجودة في « ديار صالح - العلا قرب المدينة المنورة » ، والتي لا تزال مزاراً للسائحين حيث قال الله تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ . . .

فلماذا تحرمون المسلمين من مشاهدة معالم وآثار معركة أحد وبدر والحديبية وحنين والأحزاب وغيرها من « أيام الله » التي نصر بها رسوله وعباده الصالحين وهزم الشرك والمشركين ؟ فاتقوا الله وكونوا من أولي الألباب لعلكم ترحمون .

٦ - آويتم « ناصر الألباني » ونصرتموه وسمحتم له بنشر كتابه « أحكام الجنائز وبدعها » الذي طالب فيه جهاراً بإخراج قبر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من

المسجد الشريف [1] ، وعينتموه عضواً في المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية وأستاذاً بها ، ولمّا أخرجه المرحوم الملك فيصل مع بعض أتباعه وطردهم ، أعدتموه إلى نفس المنصب بعد ذلك . . ولا تزال كتبه الكاسدة مفسوح لها ومشجعة عندكم في الوقت الذي منعت فيه بعض كتب حجة الإسلام الغزالي وأبي الحسن الندوي وعبد الفتاح أبو غدة والمالكي وسعيد حوى والبوطي وغيرهم من علماء المسلمين ، فأين العدل والقسط ؟! .

٧ - تنتهزون كل عام فرصة صيانة وصباغة وترميم المسجد النبوي الشريف ، لتزيلوا كثيراً من المعالم الإسلامية الموجودة في خلوة المسجد الشريف من الآثار

---

(١) وهذا الهراء ردده أيضاً في رسالته « تحذير الساجد » انظر (ص ٦٨ - ٦٩) ، بل زاد على ذلك حين عدَّ في رسالته « حجة النبي صلى الله عليه وسلم » (ص ١٣٧) من ضمن بدع المدينة المنورة كما يزعم « إبقاء القبر النبوي في مسجده » !! . اهـ

والمدائح النبوية فقد طمستم كثيراً من أبيات البردة النبوية للبوصيري ، وقد أردتم طمس البيتين الشهيرين المكتوبين على الشباك الشريف الواردين في قصة العتبي كما ذكرها ابن كثير في التفسير (٢/ ٣٠٦) :

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه

فطاب من طيبهن القاعُ والأكَمُ

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه

فيه العفاف وفيه الجود والكرم

لولا أن نهاكم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد عندما بلغه الأمر وأمر بإعادتها ، فما هذا الجفاء والصد عن نبيكم الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والواسطة بينكم وبين ربكم تعالى ؟ ما الأمر الذي بينكم وبينه ؟ وكأنكم نسيتم قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ .

٨ - سمحتم للمدعو مقبل بن هادي الوادعي المعروف بكثرة سبابه وطعنه على مخالفيه من العلماء والدعاة إلى الله وصلحاء هذه الأمة كما تشهد بذلك كتبه وأشرطته أن يتقدم ببحث في نهاية دراسته الجامعية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بعنوان « حول القبة المبنية على قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم » ، وإشراف الشيخ حماد الأنصاري ، طالب فيها جهاراً نهاراً بإخراج القبر والقبة الشريفة من المسجد النبوي ، واعتبر وجود القبر والقبة الشريفة بدعة كبيرة ، وطالب بإزالتها وهدمها ، ومنحتموه على ذلك درجة الفوز والنجاح ! .

فهل تكرّمون من يحاد رسول الإسلام ، حبيب الله ، رحمة العالمين ، وخليله عليه الصلاة والسلام ؟! .

٩ - سعيتم لبدعة كبيرة لم تسبقوا إليها حتى من أسلافكم في العقيدة والمنهج ، وهي أنكم سعيتم لغلق

وقفل « البقيع الشريف » ومنع الدفن فيه ، ونقل دفن الأموات الجدد إلى موقع آخر بعيد عن موقع الشرك والبدع في رأيكم ، ولمنع النّاس من الدخول إلى البقيع وزيارة من فيه من الآل والصحابة والتابعين وبقية الصالحين ، ولكن الله أحبط مسعاكم وهيأ من قام بإبلاغ جلالة الملك فهد خادم الحرمين الشريفين بذلك ، فرفض ما نويتم وأمر بتوسعة البقيع الشريف حتى لا تكون الحجة عندكم ضيقه عن استيعاب من يموت من المسلمين .

١٠ - رضيتم ولم تعارضوا هدم بيت السيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين ، والحبيبة الأولى لرسول رب العالمين صلى الله عليه وآله وسلم ، المكان الذي هو مهبط الوحي الأول عليه من رب العزة والجلال ، وسكتم على هذا الهدم راضين أن يكون المكان بعد هدمه دورات مياه وبيوت خلاء وميضآت .

فأين الخوف من الله تعالى ؟ وأين الحياء من رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام ؟ .

١١ - حاولتم ولا زلتم تحاولون وجعلتم دأبكم هدم البقية الباقية من آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ألا وهي « البقعة الشريفة التي ولد فيها » التي هدمت ، ثم جعلت سوقاً للبهائم ، ثم حولها بالحيلة الصالحون إلى مكتبة هي « مكتبة مكة المكرمة » فصرتم ترمون المكان بعيون الشر والتهديد والانتقام وتتربصون به الدوائر وطالبتم صراحة بهدمه واستعديتم السلطة وحرضتموها على ذلك بعد اتخاذ قرار بذلك من هيئة كبار علمائكم قبل سنوات قليلة (وعندي شريط صريح بذلك) غير أن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد العاقل الحكيم العارف بالعواقب تجاهل طلبكم وجمّده .

١٢ - كان هناك أثر « مبرك النّاقة » ناقة النبي صلى الله

عليه وآله وسلم في مسجد قباء يوم قدومه صلى الله عليه وآله وسلم مهاجراً إلى المدينة في مكان نزل فيه قوله تعالى : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ فأزلتم هذا الأثر ، وكنّا نشاهده حتى وقت قريب .

١٣ - وكان في مسجد القبلتين علامة على القبلة القديمة إلى المسجد الأقصى المنسوخة فأزلتموها باعتبارها بدعة .

١٤ - أزلتم بستان الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه حيث كانت هناك نخلة غرسها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وردمتم بئر « العين الزرقاء » قرب قباء ، وبئر أريس « بئر الخاتم » ، ومنعتم مشاهدة بئر رومة التي اشتراها عثمان رضي الله عنه من اليهودي وأوقفها في سبيل الله ، وهناك آثار أخرى كثيرة هامة إمّا أزيلت كلية أو غيرت معالمها .

١٥ – وضعتم معاولكم في بيت الصحابي الجليل « أبي أيوب الأنصاري » الذي استضاف فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند قدومه المدينة المنورة قبل بناء حجراته الشريفة ، وقد حافظت عليه كل العهود السابقة بما فيها عهد أسلافكم ، فهدمتم هذا الأثر الشريف الذي كان في قبلة محراب المسجد النبوي الشريف ، وذلك بزعم أن المسلمين « المشركين » يتبركون به .

١٦ – وهدمتم بجوار بيت « أبي أيوب الأنصاري » رضي الله عنه مكتبة شيخ الإسلام « عارف حكمت » المليئة بالكتب والمخطوطات النفيسة ، وكان طراز بنائها العثماني رائعاً ومميزاً .

هدمتم كل ذلك في حين أنّه بعيد عن توسعة الحرم ولا علاقة له بها .

١٧ – كما ردمتم « بير حاء » التي دخلت في التوسعة

ولم تتركوا عليها أثراً أو علامة كأثر دخله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورد ذكره في صحيح البخاري وغيره .

ولم تبقوا في المدينة المنورة من آثار المصطفى وأصحابه غير المسجد النبوي وحده فهلا التفتم لخيبر وغيرها ، وهل يجوز أن نقلد اليهود في إزالتهم لكل أثر إسلامي في القدس الشريف فنزيل آثارنا في المدينة المنورة ؟! .

وماذا أبقيتم للأجيال القادمة من تراثنا المجيد ؟! .

الخاتمة :

يا إخواننا علماء نجد :

إنَّ المملكة العربية السعودية حبيبة إلى قلب كل مسلم ، وإنَّ حكامها وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين يبذلون قصارى جهدهم في خدمة ضيوف الرحمن من الحجاج والمعتمرين ، ولكنكم بتصرفاتكم الشاذة التي ذكرتها إنَّما تسيئون إلى حكام هذه الدولة النَّاهضة الذين ألقوا أمانة

الأمور الشرعية والدينية على عاتقكم ، فحافظوا على هذه الأمانة ، ولا تدخلوا فيها أهواءكم وأمزجتكم ، فاتقوا الله في دينكم وفي دولتكم وفي إسلامكم وفي المسلمين ، واحرصوا على لَمِّ الشمل والابتعاد عن تفريق المسلمين .

وأسأل الله تعالى أن تكونوا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم

يوسف بن السيد هاشم الرفاعي

---

* تمت (الطبعة الأولى) من هذه الرسالة ، وكان الفراغ من صفها ومراجعتها ومقابلة أصولها في يوم الإثنين ٣ من شهر ربيع الأول ١٤٢١ هـ ، الموافق ٥ / ٦ / ٢٠٠٠ م ، اعتنى بها وعلّق عليها وقدّم لها تلميذ الإمام الرائد : **محيي الدين حسين يوسف الإسنوي** من خريجي الأزهر الشريف ، والله الموفق المستعان .

